الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة – محمد بوضياف بالمسيـــلة –

كلية الآداب واللغات

قســـم اللغة والأدب العربـــي

الرقم التسلسلي: ...../.....

رقم التسجيـــل:02482490

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري

بعنـــــــوان :

رســم الشخصيــات وأبعــادهـــا فـــي روايـــة

"قدس الله سـري" لـمحمد الأميــن بن ربيــع

إعداد الطالبة

يمينة لعموري

تاريخ المناقشة: 2018/05/05

لجنة المناقشة

1- د – سمير براهم	جامعة: مسيلة	رئيـــا
2- د – سليمان بوراس	جامعة: مسيلة	مشرفا ومقررا
3- د – بن عبد الله واسيني	جامعة: مسيلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2017 / 2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال الله تعالى: "لئن شكرتم لأزيدنكم" إبراهيم الآية:7.

الشكر لله الذي وفقنا وأعاننا والحمد لله الذي يسر لنا أمورنا سبحانه نعم المرشد والمعين.

يسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف
الدكتور سليمان بوراس
على كل ما قدمه لي من نصح وإرشاد فهو كالنبع الذي لا ينضب من المعرفة والمعلومة التي لم يبخل بهما عليّ للحظة.

ثم الشكر موصول للأسرة الكريمة التي آزرتني في ساعة العسرة واليأس وزرعت
في نفسي بذرة الأمل

كما يسعدني أن أشكر الطاقم الإداري والتربوي لمدرسة " الشهيد دحماني الصغير ببوسعادة "
على دعمهم وتشجيعهم طيلة مسيرة البحث الشاقة

كما أشكر الروائي محمد الأمين بن ربيع الذي أبدع, فأتاح لي فرصة البحث
في عالمه الروائي الحافل.

الشكر الخاص لعمال المكتبة العمومية للمطالعة دلاوي عبد القادر ببوسعادة على مساعدتهم وتقديمهم لمجموعة من الكتب التي أنارت لي طريق البحث.

كما أشكر عمال مكتبة النور ببوسعادة الذين كان لهم الفضل في إخراج هذا البحث بأجمل حلة.

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد فجزى الله الجميع خير الجزاء.

والحمد لله

يمينة لعموري

مقدمـــــــــــــــــة :

تعدالرواية وعلى غرار بقية الأجناس الأدبية الأخرى شكلا من أشكال الوعي الإنساني ووعاء تصب فيه أفكار الإنسان ورغباته وأحاسيسه في صراعه مع واقعه ومحيطه, وبذلك فهي أشد ارتباطا والتصاقا بمشاكلنا وأزماتنا المتعددة التي نعانيها, وعلى وجه أخص فيما يتعلق بقيمنا الخلقية وثوابتنا العقائدية.

والرواية جنس أدبي يتسع لقطاع عرضي للحياة بكل ما تحمله من هموم وهواجس فكرية واهتمامات إيديولوجية، وهي نص سردي يجمع بين الحقيقة والخيال, وتعد الحكاية نواته الأساسية ويتميز بأنه يروى أو يكتب بلغة تثير اللذة والإحساس بالجمال، وهي متسعة الزمان والمكان, تتعدد فيها الأحداث, كما تزخر بالشخصيات الروائية المختلفة, وتحدث فيها مفارقات ومفاجآت عديدة.

وقد لاقت الرواية عناية الدارسين والنقاد بعدّها أكثر الأنواع الأدبية قربا من الحياة, فتاريخها الطويل يدل على ذلك, إذ تعالج مواقف اجتماعية وغرامية, وفكرية, وسياسية ....وغيرها.

وتعد بنية الشخصية وبيان ماهيتها وأنواعها في أي عمل روائي من الموضوعات المهمة التي يرتكز إليها الباحث في دراسة الفن الروائي, لأن الشخصية صورة دقيقة أو قريبة الدقة من حقيقة المجتمع وواقعه, كما أنها مرتكز الرواية وأساس معمارها الذي لا يمكن الإستغناء عنه, فلا يمكن أن تقوم رواية دون وجود شخصية, فالشخصية وما يصدر عنها من حركة وأحداث من بين الأساسيات التي تكوّن الرواية وتوجدها.

وتكمن أهمية الشخصية الروائية بوصفها وظيفة أو أداة تثري عالم الرواية, وترسم المعالم الإنسانية في ذاكرة المتلقي على مدى بعيد. وبذلك تكون الشخصية صورة لامتزاج عالمي المتخيل والواقع, ومن هنا جاءت هذه الدراسة لهذا الجانب

محاولة الكشف عن أهم زاوية لأن دراسة الشخصية والاهتمام ببنائها الفني والإيديولوجي يصبح أمرا أساسيا.

وتحفل رواية "قدس الله سري" بباقة فنية رائعة من الشخصيات وهذا ما جعلنا نركز على رسم الشخصية وأبعادها.

وتتأسس إشكالية البحث الأساسية وفق الطرح التالي:

– كيف رسم محمد الأمين بن ربيع شخصيات رواية قدس الله سري؟ وما الأبعاد التي يرمي إليها هذا الرسم؟

تنبثق عنها أسئلة فرعية تمثلت في:

– ما الشخصية؟ من أين استمد الكاتب شخصياته؟ وما أثر البيئة في شخصيته؟

أما أسباب اختياري رواية "قدس الله سري" فمنها الذاتي ومنها الموضوعي، فأما الذاتي فهو عن قناعة ذاتية, ورغبة مني في دراسة أدب هذا المبدع خاصة أن هذه المدونة لم تتناولها أقلام الباحثين فيما أعلم, كما أن محمد الأمين بن ربيع يعد من الأسماء الأدبية اللامعة والمهمة التي برزت وتميزت في التناول الأدبي لواقع مدينة مهمة من مدن الجزائر, وهي بوابة الصحراء "بوسعادة" أثناء التواجد الفرنسي إضافة إلى أن هذه الرواية تلامس زخما من الأبعاد الدينية، والتاريخية والاجتماعية والثقافية, حيث تطرق إلى علاقة الأنا الجزائري بالآخر الفرنسي مجسدة في علاقة حب لإبراز جمال وسحر وطنه وعاداته وتقاليده الذي استهوى الآخر, وإيصال صورة الظروف الاجتماعية المزرية التي خلفتها وحشية الاستعمار الفرنسي.

أما الأسباب الموضوعية فهي مرتبطة أساسا بقيمة الموضوع العلميّة, وأن الدراسات الجزائرية أجدر بأن تنصب على الأدب الجزائري حتى تصل إلى العالمية, ونجعل منها انفتاحا على الآخر, زيادة على أن الكاتب محمد الأمين بن ربيع لم يأخذ

حقه الكافي من الدراسات الأدبية والنقدية رغم أنه طاقة إبداعية وموهبة نادرة، وهذا ما يفرض علينا العناية به وبأدبه أكثر, فروايته تستحق أن تدرس وأن تثار حولها الأبحاث والقراءات.

قد استدعت منهجية البحث أن تتوزع على مقدمة وثلاثة فصول الأول نظري, والثاني والثالث تطبيقيان وخاتمة.

فالفصل الأول المعنون بـــ " مفاهيم سردية " قسّم إلى قسمين:

القسم الأول إطلالة على مفهوم الرواية لغة واصطلاحا ثم نشأة الرواية الجزائرية, كما عرجت على أنواعها وركزت على الرواية التاريخية باعتبار روايتنا تندرج ضمنها.

وتناولت في القسم الثاني مفهوم الشخصية الروائية لغة واصطلاحا، أيضا معناها في القرآن الكريم كما تطرقت إلى أنواعها (شخصيات رئيسية, ثانوية), و (شخصية نامية, مسطحة وكذلك تصنيفها بالنسبة لفيليب هامون, إضافة إلى مكانة الشخصية الروائية, وركزت على طرق تقديم الشخصيات سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة, وأساليب رسم الشخصيات تصويرية كانت, أم استباطية, أم تقريرية.

أما الفصل الثاني التطبيقي والمعنون بـــ" رسم الشخصيات في رواية "قدس الله سري" فقد انبثقت عنه ثلاثة عناوين فرعية, بدءا بقراءة في شخصيات الرواية ثم تليها رسم الشخصيات عن طريق السرد, وتطرقنا أيضا إلى كيفية رسمها عن طريق الحوار وكذلك رسمها عن طريق المونولوج الداخلي, وأخيرا علاقة الشخصية بالمكونات السردية الأخرى وقد استشهدنا بأمثلة عديدة من الرواية.

أما الفصل الثالث والذي يندرج تحت عنوان "أبعاد رسم الشخصيات في رواية قدس الله سري" والذي تفرعت عنه عناوين عدة أولها البعد الخارجي(الجسمي) الذي

ركزت فيه على إبراز الكاتب لعادات وتقاليد الفضاء المكاني للرواية من خلال اللباس التقليدي، وثانيها البعد النفسي لرسم الشخصيات الذي ركزت فيه على جانبيه الواقعي والمتخيل وثالثها البعد الاجتماعي، وذلك للوصول في النهاية إلى سمات وملامح الشخصيات لتقنع القارىء وتؤثر فيه.

تلي هذا الفصل خاتمة كباقة ورد لأهم النتائج التي توصلت إليها, وقد ألحقت ببطاقة فنية للكاتب الروائي محمد الأمين بن ربيع, إضافة إلى ملخص الرواية وكذلك قائمة المصادر والمراجع متبوعة بفهرس.

وقد اعتمدت المنهج البنيوي القائم على الوصف والتحليل لأنه أكثر ملاءمة لتحليل بنية الشخصيات وتوضيح أبعادها الجسمية والنفسية والاجتماعية وكيفية رسمها.

وأهم المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، "قدس الله سري" لمحمد الأمين بن ربيع, "فن القصة" لمحمد يوسف نجم, و"في نظرية الرواية" لعبد المالك مرتاض و"تحليل النص السردي" لمحمد بوعزة، وكذلك رسم الشخصية عند حنامينة لـــ" فريال كامل سماحة" و" تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة" لشريبط أحمد شريبط, و "المتخيل والسلطة" لعلال سنقوقة.

وأهم الصعوبات التي اعترضتني المراجع التي تهتم بموضوع رسم الشخصيات التي تفيد الباحث

وفي الختام لايسعني إلا أن أقدم شكري وامتناني لأستاذي الفاضل الدكتور "سليمان بوراس" الذي كان بلسما شافيا لكل ما اعترضني من تساؤلات وصعوبات, كما كان دافعا إيجابيا وقويا أستمد منه طاقتي، لأنني التمست فيه صفة ثمينة جعلت منه إنسانا مكافحا بحق، ويستحق كل احترام وتقدير وهي تأدية عمله بكل صدق وإخلاص.

- الفصل الأول -

الشخصية والروايــة

أولا– الشخصية

ثانيا– الروايـــــــــــــــــــــة

أولا – الرواية

1– تعريف الرواية :

أ– لغـــــة :

جاء في لسان العرب لابن منظور " أنها مشتقة من الفعل (روى) ويقال رويت على أهلي رية "، وقال ابن السكيت " يقال رويت القوم أرويهم إذا استقيت لهم " ويقال روى فلان فلانا شعر إذا أرواه له حتى حفظه للرواية عنه، قال الجوهري " رويت الحديث والشعر رواية فأنا راو" [1] فكل المعاني تشترك في مجموعها في جريان الماء وانتقاله، فقد كان الماء هدفهم المنشود، وكذلك في رواية الشعر الذي كان يتميز به العرب كما كانت الرواية هي الوسيلة الوحيدة لحفظ الشعر.

كما جاء في معجم " الرائد " لجبران مسعود بأن الرواية لغة من :« روى يَرْوي : روايته (روي) 1– **الحديث** : نقله، 2– **الشِّعـــــْـــــَر** : حمله عن صاحبه ، وأنشده .

روى يَرْوِي : رَيَّاً (روي) ، 1– على الدابة : استقى، 2– هُ أوله أو عليه : استقى له الماء، روّأ تَروِيئًا و ترْوِئَةً، في الأمر : نظر فيه وتأمل ولم يتسرع، 3– هُ الشِّعْرَ: حمله على روايته، 3– تزوَّد بالماء ، 4– النبات سقاهُ [2] الرواية : 1– مص ، روى ، 2– القصة الطويلة».

---

[1] – ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري، جمال الدين أبو الفاضل، لسان العرب، مج6، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، مادة روى، ص 271 ، 272.

[2] – جبران مسعود، الرائد، معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، ط7، مارس 1992، بيروت، لبنان، ص 406.

ب- اصطلاحا :

" الرواية نمط سردي يرسم بحثا إشكاليا، يقيم حقيقة لعالم متقهقر، في تنظيم جورج لوكاتش (Georg Lukàcs) ولوسيان كولدمان (Lucien Goldmann)، والرواية هي الطابع المشابه عند (جوليا كريستيفا) Julia Cristina في عملها عن (نص الرواية)، حيث أن وحدة العالم، ليست حدثا، بل هدفا يقتحمه عنه دينامي". [1]

وقد عرفها عبد المالك مرتاض في عصرنا الحاضر بأنها: " هي النثر الفني بمعناه العالي" [2]، فالرواية متعددة المفاهيم عند الأدباء والنقاد سواء في الغرب أو عند العرب، فهي عالم مستقل بذاته، وتعبير عن متطلبات العصر وهو ما جعلها تحتل مكانة هامة بين الفنون الأدبية الأخرى.

" والرواية من حيث هي جنس أدبي راق، ذات بنية شديدة التعقيد، متراكبة التشكيل؛ تتلاحم فيما بينها وتتظافر لتشكل لدى نهاية المطاف شكلا أدبيا جميلا يعتزي إلى هذا الجنس الحظيِّ، والأدب السَرِيِّ. فاللغة هي مادته الأولى، والخيال هو الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة فتنمو وتربو، وتمرع وتخصب". [3]

وهي على حد قول جبور عبد النور أنها: « تعتبر في المفهوم العصري فن شامل يصعب رسم حدوده في كلمات معدودة، فهي أولا نوع من السرد، مختلقة عادة، أو متخيلة، أو مؤلفة من عناصر واقعية ووهمية، وهي أيضا تصوير للأخلاق والعادات، يتصدى فيها المؤلف لرسم جانب من الحياة الإنسانية، وينزل شخصياته ضمن إطار إجتماعي معين، أو مزوق حسب متطلبات السياق، كما قد يعمد إلى شحنها بغاية خلقية،

---

[1] – سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض و تقديم و ترجمة دار الكتاب اللبناني، ط1 ، 1985 – 1405 هـ، ص 102.

[2] – عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، دط، 1998، ص 25.

[3] – نفسه، ص 27.

أو فلسفية، أو دينية، أو سياسية، أوتاريخية، أوعلمية، وهي تبرز في ألف شكل وشكل، وتمثل في معظم الأحيان مغامرة إنسانية مثيرة لمشاعر القارئ، فهي إذا وثيقة بشرية مستقاة من الخيال، والملاحظة، والتأمل، وممثلة لواقع حقيقي أو متخيل».[1]

2- نشـــأة الروايـــــة الجزائرية :

ظهرت الرواية العربية الجزائرية متأخرة بالقياس إلى الأشكال الأدبية الحديثة مثل المقال الأدبي والقصة القصيرة والمسرحية، بل أن هذه الأشكال الجديدة تعتبر حديثة بالقياس إلى مثيلاتها في الأدب العربي الحديث، ولا شك أن الناس تعودوا قراءة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وترجمت معظم الروايات من هذه اللغة إلى العربية وبات الناس يرددون أسماء كتابها ويعرفون عنهم الشيء الكثير بينما لا يكادون يعرفون عن كتاب النثر الجزائري الحديث إلا قليلا . [2]

أما فيما يتعلق بالنقاد فإنهم قدموا عذرهم في عدم الحديث عنها لأنها ظهرت أخيرا، فهي من مواليد السبعينات، بالرغم أن هناك بذورا ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية يمكن أن نلحظ فيها بدايات ساذجة للرواية العربية الجزائرية سواء في موضوعاتها أو في أسلوبها وبنائها الفني [3]، كما نجد الدكتور عمر بن قينة في كتابه " **الأدب العربي الحديث**" يتحدث عن الرواية الجزائرية بأنها: " من آخر الأقطار العربية التي عرفت الرواية العربية في شكلها الفني الناضج برؤيتها الفكرية والاجتماعية والإيديولوجية " . [4]

---

[1] – جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979، ص 128.

[2] – عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974) ، دار الكتاب العربي، ط1، 1983، ص 235.

[3] – نفسه، ص 237.

[4] – عمر بن قينة، الأدب العربي الحديث، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ص.ب 109، برج الكيفان، الجزائر، ص 168.

لقد عرفت الرواية العربية في الجزائر تجارب مختلفة، متعثرة منذ (1849 م) مرورا بالأربعينيات، ثم (الخمسينيات) حيث ظهرت تجارب إلى جانب (الرواية الفرنسية) في الجزائر قبل أن يكون لها وجودها الفني (الشرعي) الواضح إبتداءا من مطلع (السبعينيات) في القرن 20 (العشرين) حيث شرعنا نقرأ أعمالا روائية جادة، طموحة للنضج، لم تلبث حتى ترسخت واتسعت بأعمال عديدة، وكتاب عديدين، بدأت تختلف أعمالهم كما تختلف اتجاهاتهم ورؤاهم، والمستويات الفنية نفسها في تجاربهم، فكانت أول تجربة في هذا الواقع الروائي الجديد للكاتب (عبد الحميد بن هدوقة) حسب التاريخ الوارد في نهاية الرواية كتابة ونشرا. [1]

وتأخر ظهور الرواية إلى الفترة التي ذكرناها، يرجع إلى أن هذا الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل وإلى صبر طويل وأناة ثم يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء به, " فالرواية تعالج قطاعا من المجتمع رحابة واسعة، لشخصيات تختلف اتجاهاتها ومشاربها وتتفرع تجاربها وتتصارع أهواؤها ومواقفها، ومن ثم كان الكاتب يحتاج إلى تأمل طويل "[2].

فالرواية عالم رحب مليء بالشخصيات تختلف باختلاف مواقفها واتجاهاتها ودورها ولذلك يجد الكاتب صعوبة في رسمها.

3- أنـــــــــــواع الروايـــــــــــة :

تزخر الرواية بكم هائل من الأنواع، وذلك لأنها تختلف باختلاف موضوعاتها وهذا ما نجده في كتاب " المعجم الأدبي" لكاتبه جبور عبد النور حيث يقول:" الرواية أنواع كثيرة، لا يتيسر حصرها بسهولة، أهمها وأكثرها شيوعا " ما يلي :

---

[1] – عمر بن قينة، الأدب العربي الحديث، ص 168 .

[2] – عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص 238.

- **الرواية البوليسية:** " أو ما يسمى برواية المغامرات، والرواية السوداء، وهي نوع إنجليزي المنشأ، شاع في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر، وتميز بسرد مغامرات مدهشة في إطارات مرعبة " . [1]

- **الرواية الاجتماعية:** "الشائعة في سرد أحداث التاريخ والمعنية بالتقاليد والأسر والعلائق بين الأفراد والجماعات، وهي على العموم، تتصف بالواقعية " [2] بمعنى أنها تتخذ مادتها من الواقع المعاش, فهي تهتم بكل ما يخص المجتمع من بيئة، وفقر، وعادات وتقاليد، وأثرها على الأفراد وسلوكاتهم، ومن خلال ذلك يحاول الكاتب طرح هذه القضايا وإيجاد الحلول لها.

- **الرواية التحليلية:** " وهي التي يبرز فيها جانب التحليل النفسي، حتى يكاد يطغى على بقية عناصرها الروائية، كالأحداث والشخصيات والحوار، حيث يتصور جانب التحليل النفسي للبطل وحشد كل ما يمكن من هذا التحليل, ويعين عليه من معرفة ماضي هذا البطل وبيئته وما تَكَوَّن لديه من عقد أو ما ضجَّ به عالمه النفسي من صراعات ".[3]

من خلال هذا التعريف للرواية التحليلية أو النفسية نجد بأنها تركز على الجانب النفسي الذي يتغلغل في أعماق الرواية وبالذات في مكنونات الشخصيات، حيث تبرز لنا سلوكات وطبائع الأفراد أي الاهتمام بالجانب الداخلي.

- **الروايـــة التاريخيـــة:**

هي الرواية التي تتخذ مادتها الأساسية من التاريخ "إما أن تقصد به إلى تعليمه، ويكون صبه في القالب الروائي، لاساغته وتحسين عرضه، وهذه هي الرواية التاريخية

---

[1] – جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص 128.

[2] – جبور عبد النور, المعجم العربي، ص 129.

[3] – حسن شوندى, * آزاده كريم **، رؤية إلى العناصر الروائية، العدد العاشر، السنة الثالثة، ص 57.

التعليمية، وإما أن تقصد إلى إحياء الماضي وتمجيده, ويكون عرض التاريخ في قالب روائي، خدمة لهدف قومي، أو تعبيرا عن إحساس وطني، وهذه الرواية التاريخية القومية".[1]

فالرواية التاريخية "سرد قصصي يرتكز على وقائع تاريخية، تنسج حولها كتابات تحديث ذات بعد إبهامي معرفي"[2]، " وتنحو الرواية التاريخية غالبا إلى إقامة وظيفة تعليمية وتربوية"[3]، "والخطاب الروائي لا يمكن أن ينفصل عن تاريخه فالأدب الصحيح لا يتجاوز منطقة الحقائق ولو شطّ به الخيال، كانت الرواية العربية الجزائرية من طلائع الأنواع الأدبية التي تأثرت بهذا الواقع، وعندما نقرأ نلاحظ بعد التاريخ الوطني يشكل خلفيتها الإيديولوجية والمعرفية، وليست الرواية الجزائرية وحدها في هذا الاتجاه بل يلاحظ ذلك في الرواية العربية والعالمية، فهناك نقاط مضيئة في التاريخ، تتجلى بصورة أو بأخرى في المتن الروائي".[4] وهذا ما نجده في رواية "قدس الله سري".

فقد حاولت الرواية الجديدة خلق واقع مفارق للواقع المادي الذي قامت عليه الرواية الواقعية الكلاسيكية عند بالزاك و ستاندال(Stendhal & Balzac) خصوصا، فتحول الواقع في الرواية الجديدة إلى بحث عن واقع خفي ليس ذلك الواقع الذي يراه جميع الناس من حولهم والذي يدركه جميع الناس من حولهم منذ النظرة الأولى ... هذا الواقع ليس الواقع الروائي، إن هذا الواقع بالنسبة له ليس إلا مظهرا

---

(1) – نفسه، ص 57 ، 58.

(2) – سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 103.

(3) – نفسه، ص 103.

(4) – علال سنقوقة، المتخيل والسلطة (في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية)، منشورات الإختلاف، ط1، جوان 2000، ص 13.

سرابا، إن الواقع في نظر الروائي هو المجهول، هو المحجوب، هو الوحيد الذي تتوجب رؤيته. [1]

فالرواية التي تندرج تحت هذا النوع تسلط الضوء على المسكوت عنه في التاريخ لحقبة زمنية معينة سواء تعلق الأمر ببيئة أو مكان أو شخصية معينة، والجانب المتخيل الذي يضفيه الكاتب هو الذي يمنح الرواية الجمالية وعنصر المتعة والتشويق؛ لكي يترك القارئ مستمتعا بالرواية من بدايتها إلى نهايتها، لأن الرواية جزء من الحياة التي يعيشها الإنسان في داخله أو ما تعيشه الجماعة ما دامت تعبر عن الواقع.

كما تقول الكاتبة بنور عائشة عن علاقة الحاضر بالماضي " إن الماضي لا يحتفظ به، إننا نعيد بناءه انطلاقا من الحاضر".[2]

ومعنى ذلك أنه لا يوجد حاضر بدون ماضي, وأن ماضي الشخصية الروائية ليس إلا ذكرى، ومستقبلها مبهم، وتتميز بغزارة المعلومات والذكريات الكثيرة.

ثانيا- الشخصيـــــــة :

تعتبر الشخصية حجر الأساس لكل رواية فهي القاعدة الأولى لبناء أي متن روائي حيث " تشكل الشخصية في العمل الروائي إحدى دعائمه الأساسية، ونظرا لأهميتها وحساسيتها البنائية الجمالية، اختلف ممتهنوا النقد في عدة جوانب متعلقة بها " . [3]

" فالشخصية عالم تتمحور حوله كل الوظائف والهواجس والعواطف والميول".[4]

---

[1] – نفسه ، ص 44.

[2] – بنور عائشة بنت المعمورة، قراءات سيكولوجية في روايات وقصص عربية(رؤى وانطباعات)، منشورات الحبر، ط2، 2007، ص 92.

[3] – بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970 – 1986)، جماليات و إشكاليات الإبداع، دار الغرب للنشر و التوزيع، الجزء الثاني، طبعة 2001 – 2002 ، ص 36.

[4] – نفســـــه، ص 45.

ولذلك يرى بعض النقاد " أن الشخصية هي المعلم البارز الذي يقدم لنا الخطاب الإيديولوجي لأنه العنصر الأكثر أهمية"، فالباحثون يركزون على أهمية الشخصية لأنها هي التي تقف وراء نجاح الرواية أو فشلها، وأول ما ينبغي أن يكون من خصائص الشخصية أن تكون قادرة على إقناع القارئ.[1]

1 – مفهـــوم الشخصيـــة:

أ- الشخصيـــة لغـــــة:

لقد ورد في لسان العرب : « **شخص:** جماعة شخص الإنسان وغيره، وهو كذلك، مذكر والجمع أشخاص وشخوص، **والشخص:** سواء الإنسان وغيره، نراه من بعيد وتقول ثلاثة أشخاص وكل شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصه».[2]

كما وردت في معجم محيط المحيط: « شخص الشيء عينه وميزه عما سواه ومنه تشخيص الأمراض عند الأطباء أي تعيينها ومركزها، وأشخصه أزعجه».

وأشخص فلان حان سيره وذهابه، وعند الأصمعي « أن الشخص إنما يستعمل في بدن الإنسان إن كان قائما لها».[3]

كما وردت لفظة الشخصية في معجم الوسيط : « أنها صفات تميز الشخص عن غيره ويقال : فلان ذو شخصية قوية ، ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل».[4]

أي أن كل شخص يحمل شخصية خاصة به وتميزه عن غيره، سواء كانت هذه الشخصية بميزاتها الإيجابية أو السلبية وهذا ما تشترك فيه جميع المعاجم، فهناك سمات مشتركة بين عدة أفراد لكن تبقى لكل فرد شخصيته الخاصة به, تعبر عن وجوده

---

[1] – علال سنقوقة، المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية (دراسة) ، ص 55.

[2] – أبو الفضل " جمال الدين ابن منظور "، لسان العرب، مجلد السابع، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، مادة (ش خ ص)، ص 45.

[3] – بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1998، ص 455.

[4] – إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، د ط، د ت، ص 475.

ومكانته، هذه الشخصية المركبة من مجموعة جوانب اجتماعية ونفسية وبذلك فهي تقتصر على الإنسان, لأنها تبرز ميولاته وسلوكاته وانفعالاته وكل ما يتغلغل داخله.

ب- الشخصية اصطلاحا :

انطلاقا من منظور التحليل البنيوي الذي يعرف الشخصية الروائية بأنها : « العلامة التي تقوم بوظيفة ذات أصل نحوي، أو الشخصية العامل أو المشارك أو الوكيل».[1]

ومن ثم تصبح «الشخصية جزءا أساسيا من المكونات السردية الأخرى»[2] "فالشخصية الروائية فكرة من الأفكار الحوارية التي تدخل دائما مع الشخصيات الرئيسية أو الثانوية".[3] والشخصية « تمثيلية لحالة أو وضعية ما » .[4]

وبذلك فالشخصية تحتل مكانة بارزة ضمن المكونات السردية الأخرى، فهي أساس بناء الرواية وقوامها، ولا يمكن أن تكون هناك رواية بدون شخصية.

وفي القرآن الكريم:

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾[5]، وقوله أيضا:﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[6].

---

(1) – رشيد بن يمينة، بواكير الرواية الجزائرية، دراسة تحليلية بنية السرد في خطاب " حكاية العشاق في الحب والانسياق"، قسم التصنيف، دار تفتيلت ، طباعة، نشر، اتصال، 2013، ص 38.

(2) – نفسه، ص 14.

(3) – سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 126.

(4) – نفسه، ص 126.

(5) – سورة إبراهيم، آية 42.

(6) – سورة الأنبياء، آية 97.

2- أنـــــــــــواع الشـــخـــصيـــــــــــات :

تعددت طرق تقديم الشخصيات من كاتب لآخر، ولذلك نجد أن لكل كاتب طريقته الخاصة أو المحببة لديه في رسم شخصياته، وخلال بنائها على شكل معين يستطيع أن ينير جوانب متعددة في وظيفتها أو دورها.

أ- من حيـــــث ارتبـــــاطـــــــها بالأحـــــــــــــداث :

تنقسم إلى قسمين: شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية.

1- الشخصيـــات الرئيســـــــية :

وهي التي تستحوذ على نسبة تفوق 50% من الأحداث في المتن الروائي وبواسطتها تتفاعل الأحداث ويتمحور حولها السرد وتكون مصدر إمتاع وتشويق" هي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام، وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما، ولكنها هي الشخصية المحورية، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية"[1]، إذ أن الشخصية الرئيسية (المركزية) هي التي تقوم بالدور الرئيسي في الأحداث، بحيث تدور حولها أغلب أحداث القصة وتظهر أكثر من الشخصيات الأخرى، " فالشخصية الرئيسية شخصية تتمحور عليها الأحداث والسرد".[2] كما يحدد **هـــينكل (Hinkil)** خصائص الشخصيات الرئيسية في ثلاثة :

- مدى تعقيد التشخيص .
- مدى الاهتمام الذي تستأثر به بعض الشخصيات.
- مدى العمق الشخصي الذي يبدو أن إحدى الشخصيات تجسده.

---

[1] – عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص 288.

[2] – سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 126.

يقصد بمعيار تعقيد التشخيص نمط الشخصيات المعقدة التي ترجع أفعالها وتصرفاتها إلى مجموعة متداخلة ومركبة من الدوافع والانفعالات المتناقضة بما يجعلها عرضة لتغيرات حاسمة، ومعنى ذلك أن الشخصيات الرئيسية تمثل نماذج بسيطة، وهذا التعقيد هو الذي يمنحها القدرة على اجتذاب القارئ، هذا المعيار يخص بنية الشخصية في ذاتها، وفي هويتها النفسية .

بالمقابل يخص معيار الأهمية بناء الشخصية وطرق تقديمها على المستوى السردي، من هذا الجانب الشكلي، الشخصيات الرئيسية هي التي تستأثر باهتمام السارد، حين يخصها دون غيرها من الشخصيات الأخرى بقدر من التميز، حيث يمنحها حضورا طاغيا، وتحظى بمكانة متفوقة، هذا الاهتمام يجعلها في مركز اهتمام الشخصيات الأخرى وليس السارد فقط.

ويقصد بمعيار العمق الشخصي غموض الشخصية بما يجعلها مثار اهتمام الشخصيات الأخرى، ذلك أن جميع الناس الذين يلفهم الغموض أو تشكل حياتهم لغزا غامضا علينا يستثيرون شغفنا. [1]

فالشخصية الرئيسية هي العنصر الرئيسي في العمل الروائي، حيث تتمحور حولها أحداث الرواية، وتحظى بمكانة عظمى لدى الكاتب والقارئ على حد السواء فبوجودها تتفاعل الأحداث وتتطور.

ويعرفها أيضا، شريبط أحمد شريبط في كتابه: " تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة " بأنها: " هي الشخصية الفنية التي يصطفيها القاص لتمثل ما أراد تصويره وتكون هذه الشخصية الفنية قوية ذات فاعلية كلما منحها القاص حرية،

[1] – محمد بوعزة، تحليل النص السردي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 56، 57.

وجعلها تتحرك وتنمو وفق قدراتها وإرادتها، وأبرز وظيفة تقوم بها هي تجسيد معنى الحدث القصصي، لذلك فهي صعبة البناء وطريقها محفوف بالمخاطر".[1]

ويمكن النظر إلى الشخصية كما أوضحها **البورت** باعتبارها " مجموع الصفات الشخصية التي تمثل ما يكون عليه الفرد حقيقة، وهي بهذا المعنى تتصل بالممثل".[2]

وهي كذلك "الدور الذي يقوم به الفرد في الحياة سواء كان دورا مهنيا أو اجتماعيا أو سياسيا".[3] وعرفها فيليب هامون **(Philippe Hamon)** بأنها "تركيب يقوم به القارئ أكثر مما يقوم به النص".[4]

ويعتبرها **رولان بارت (Roland Barthes)** بأنها: " نتاج عمل تأليفي ".[5]

كما تعرف الشخصية أيضا بأنها: "السمات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التي تميز الشخص عن غيره ".[6]

ويعرفها أحمد زكي بدوي بأنها: "نظام متكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزاعية والإدراكية التي تعين هوية الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد".[7]

والهوية تتعلق بالحالة الشخصية الفردية: الاسم – الجنسية – السن – المهنة – الحالة العائلية، فالشخصية هي مجموعة المميزات والخصائص الجسمية والنفسية

---

[1] – شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 45.

[2] – سيد محمد غنيم، سيكولوجية الشخصية، محدداتها، قياسها، نظرياتها، دار النهضة العربية ، ص 46 .

[3] – محمد الأمين بن ربيع ، قدس الله سري، ص 46 .

[4] – محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، دراسة من منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2005، ص 11.

[5] – نفسه، ص 11.

[6] – عمرو حسن أحمد بدران، تحليل الشخصية، مكتبة الإيمان، المنصورة، ص 9.

[7] – نفسه، ص 9 .

والاجتماعية والفكرية التي تميز الفرد عن غيره، وبذلك فالشخصية لها دور فعال وبارز في تحريك الأحداث باعتبارها جوهر المتن الروائي.

2- الشخصية الثانوية :

تعتبر الشخصية الثانوية مقترنة بالشخصية الرئيسية، فهما يتصلان اتصالا مباشرا، وهذا ما نجده عند الكاتب محمد يوسف نجم في كتابه "فن القصة" بقوله:" تلعب الشخصيات الثانوية دورا هاما في توضيح القصة، فهي تقود القارئ في مجاهل العمل القصصي، وتوجه الحبكة والأحداث, بحيث تلقي ضوءا كاشفا على الشخصيات الرئيسية"[1] "فالشخصية الثانوية تصعد إلى مسرح الأحداث بين الحين والآخر"[2].

وبذلك فالشخصية الثانوية تلعب أدوارا مختلفة داخل المتن الروائي، فبعضها كان مساندا، والبعض الآخر يقف عقبة في تحقيق أهداف البطل.

كما نجد محمد غنيمي هلال يقول: " ... إذا كانت الشخصيات ذات الأدوار الثانوية أقل في تفاصيل شؤونها تكون أقل حيوية، وعناية من القاص وكثيرا ما تحمل الشخصيات آراء المؤلف"[3]، فالشخصية الثانوية لها دور فعال وبارز لتكتمل الأحداث. الأحداث.

ب- من حيـــــث تكوينها نوعـــــــان أيـــــــــــــضا :

1- الشخصية النامية المتطورة :

" وهي الشخصية التي لا تبدو للقارئ في الصفحات الأولى، بل تنكشف شيئا فشيئا، وتتطور بتطور الرواية وأحداثها، وتنمو مع تغيير الأحداث، ويكون تطورها

---

[1] – محمد يوسف نجم، فن القصة، ص 46 .

[2] – أحمد شعث، بناء الشخصية في رواية " الحواف"، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد5، العدد 2،2010، ص 3.

[3] – محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، (دط)، 1973، ص 205.

غالبا نتيجة تفاعلها المستمر مع هذه الحوادث، لأنها في حالة صراع مستمر مع الآخرين أو صراع نفسي مع الذات، وقد يكون هذا التفاعل ظاهرا أو خفيا، وقد ينتهي بالغلبة أو بالإخفاق"[1]

يمكن القول بأن الشخصية النامية تتمتع بوظيفة هامة في الرواية، فهي تنمو وتتطور بتطور الأحداث، وتعتمد على عنصرين أساسيين هما: الإقناع والتشويق والمفاجأة لإثبات دورها, وهي تعادل مفهوم الشخصية المتحركة أو المدورة أو المتطورة.

2- الشخصية المسطحة الثابتة:

" وهي أن تقوم فيها الشخصية عادة حول فكرة واحدة، وتظهر في كل مواقف القصة بصورة واحدة أيضا لا تتغير في سلوكها وانفعالاتها ولا تؤثر فيها الحوادث، ولا تكاد طبيعتها تتغير من بداية القصة حتى النهاية، أي لا تأخذ منها ولا تعطيها أو تزيد عليها"[2].

ويعرفها عبد المالك مرتاض في كتابه" في نظرية الرواية" بأنها: " تلك الشخصية البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدل في عواطفها ومواقفها"[3]، فهي الشخصية التي لا تتأثر ولا تؤثر في أحداث الرواية، وبذلك فهي شخصية جامدة، وهي في رأي فتحي إبراهيم " تبنى حول فكرة واحدة، ولا تتغير طوال الرواية، وتفتقد الترتيب ولا تدهش القارئ أبدا بما تقوله أو تفعله"[4].

---

[1] – حسن شوندى *.آزادة كريم, رؤية إلى العناصر الروائية, ص 53.

[2] – حسن شوندى, آزادة كريم, رؤية إلى العناصر الروائية, ص 54,53.

[3] – عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص 131.

[4] – فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، دار محمد علي الحامي للنشر، صفاقس، تونس، (د ط)، 1988، ص 212.

وخلاصة القول أن الشخصية الثابتة هي التي تبقى على حالها من بداية الرواية حتى نهايتها، يعني أنها لا تتغير ولا تتبدل، ولا تساهم مساهمة كبيرة في الحبكة الروائية.

ويعمد الكاتب إلى التنويع في شخصياته، لأن لكل نوع دوره ووظيفته التي يقوم بها في خضم المتن الروائي، وهي مكملة لبعضها البعض وذلك ليضفي على أحداث الرواية عنصر الإثارة والتشويق ويترك القارئ متمسكا بقراءة الرواية من بدايتها إلى نهايتها.

كما نجد أن فيليب هامون اعتمد في تصنيفه للشخصيات الروائية على ثلاثة تصنيفات وهي كالآتي:

1. **فئة الشخصيات المرجعية:** "وتشمل الشخصيات التاريخية والاجتماعية والدينية والأسطورية, وهذه الشخصيات تحيل إلى معنى محدد وثابت تحدده ثقافة ما, وقراءاتها مرتبطة بدرجة استيعاب القارئ لهذه الثقافة"[1].

ويعني ذلك أن هذه الأنواع من الشخصيات ثابتة, يتم تحديدها من خلال ثقافة ما حيث أن قراءتها ترتبط بمدى استيعاب القارئ لهذه الثقافة.

2. **فئة الشخصيات الواصلة:** "تضم الشخصيات الناطقة باسم المؤلف والمنشدين في التراجيديا القديمة, والشخصيات المرتحلة والرواة والمؤلفين المتدخلين, وشخصيات

(1) – عدنان علي محمد الشريف, الخطاب السردي في الرواية العربية, عالم الكتب الحديث, ..., الأردن, ط 1, 2015, ص99.

الرسامين والكتاب والفنانين وتكون علامة حضور المؤلف والقارئ أو ما ينوب عليها"[1].

أي أنها شخصيات تصل بين المؤلف والقارئ, فالروائي يستطيع أن يوصل للقارئ ما يجول في خاطره بواسطة الشخصيات الموجودة في الرواية.

3. **فئة الشخصيات المتكررة (الاستذكارية):** "يظهر هذا النوع من الشخصيات في الحلم المنذر بوقوع حادث أو في مشاهد الاعتراف والبوح, فالشخصيات تنسج داخل الملفوظ شبكة من الاستعدادات والتذكيرات لمقاطع من الملفوظ منفصلة وذات طول متفاوت, وهذه الشخصيات ذات وظيفة تنظيمية لاحمة أساسا"[2].

يتجلى لنا أن هذا النوع من الشخصيات ذات وظيفة تنظيمية, فهي إما تبشيرية عندما تبشر بالخير, أو العكس, ودورها تقوية ذاكرة القارئ بما تنسجه من ملفوظات متباينة الطول.

وفي الأخير يمكن القول بأن هذه الفئات والأنواع لها دور فعال في إضفاء جمالية على الرواية ويمكن أن تجتمع كلها في شخصية واحدة.

3 – أبعاد الشخصية :

و هي الجوانب التي تتألف منها الشخصيات في القصة بشكل عام وهي البعد الخارجي (الفيزيائي)، والبعد الداخلي (النفسي)، والبعد الاجتماعي.

– البعد الخارجي (الفيزيائي) الجسمي:

(1) – فيليب هامون, سيميولوجية الشخصيات الروائية, تر: كسعيد بنكراد, تقديم عبد الفتاح كيلبطو, دار الكرم, الجزائر, (د.ط)2012, ص120.

(2) – حسن بحراوي, بنية الشكل الروائي, ص 217.

يشمـــــل هذا الجانب المظهر العام للشخصية وشكلها الظاهري، ويذكر فيه الراوي ملابس الشخصية وملامحها وطولها وعمرها ووسامتها ودمامة شكلها وقوتها الجسمانية وضعفها .....

و هذا الجانب له أهمية كبيرة، لأنه يساعد القارئ على التعرف على الجوانب الأخرى، فغالبا ما يكتشف المتلقي المكانة الاجتماعية للشخصية من خلال ملابسها، وكذلك فإن حركات رجل بدين تختلف تماما عن حركات رجل نحيف، وسلوك شخص دميم المنظر ربما اختلف عن سلوك إنسان وسيم.

" فهذا البعد الجسماني أو الخارجي الذي يولد به الإنسان وهو يتعلق بتركيب جسد الإنسان وما أصاب هذا الجسد من تغييرات، أيضا يتعلق البعد المادي بنوع الإنسان هل هو رجل أو أنثى، أهو طويل أو قصير، بدين أو نحيف، أنيق أو مهمل في مظهره، هل هناك تشوهات خلقية أو إصابات ظاهرية نتيجة حوادث عارضة، هل هو ذميم أو.." [1]

والوصف الظاهري للشخصية يقصد به "رسم الصورة الخارجية للشخصية بكل مكنوناتها، الهندام، الهيئة، العلامات الخصوصية وما إلى ذلك".[2]

فالمظهر الخارجي هو أول ما يقع عليه النظر، أي الانطباع الأول من خلال الصورة الظاهرة التي تعتبر حكما أوليا حول هذه الشخصية، وله دور فعال في الكشف عن المظهر الاجتماعي والنفسي، فكثيرا ما يمثل المظهر الجسمي بالنسبة لبعض الشخصيات عقدة إذا كان يعاني من عاهة أو تشوه.

---

[1] – شكري عبد الوهاب، النص المسرحي، دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة المسرحية، د ط، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999، ص 54.

[2] – إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دار الآفاق، الجزائر، ط1، 1999، ص 105.

- **البعد الداخلي (النفســـــــي):**

يدرس القاص في هذا الجانب مشكلات الشخصيات النفسية، "ويدرس الغرائز ومدى تحكمها في سلوك الأفراد وانفعالاتهم وتصرفاتهم كغريزة حب البقاء والغريزة الجنسية، والخضوع، والمقاتلة، إلى غير ذلك من الاستعدادات الفطرية النفسية والدوافع السيكولوجية التي تدفع الفرد إلى إدراك من نوع معين، والشعور بانفعال خاص عند الإدراك، أو أن يسلك نحوها مسلكا بذاته يجد في نفسه على الأقل دافعا إليه".[1]

" والبعد النفسي يقصد به اللوحة النفسية للشخصية أي ما يدور في أعماقها من مشاعر وانفعالات أو ما يدور في عقلها الباطن وحركة اللاوعي" [2]، كما يهتم القاص من خلال هذا البعد بتصوير الشخصية من حيث مشاعرها وعواطفها وطبائعها وسلوكها، ومواقفها من القضايا المحيطة بها. [3]

إن هذا الدخول إلى العالم الداخلي للشخصيات وتصوير نفسياتهم، وأذهانهم مهم جدا لكشف العالم الداخلي لهم، لأنه يؤثر على سلوك الشخصية وطبائعها بإبراز الجانب الحقيقي للشخصيات ويقصد به كل ما يتعلق بالمكنونات.

- **البعد الاجتمـــــاعـــــــــي:**

و يقصد به كل ما يتعلق بالمجتمع، من بيئة، وعادات وتقاليد ومبادئ وقيم, فهو في نظر الكاتب إبراهيم صحراوي: "يهتم بتصوير الشخصية من حيث مركزها الاجتماعي وثقافتها والوسط الذي تتحرك فيه" [4]، "ويركز على التفرد الثقافي، وهو أحد

---

[1] – علي عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية (ثرثرة فوق النيل)، مجلة كلية الآداب، العدد 102، ص 51.

[2] – شكري عزيز الماضي، فنون النثر العربي الحديث، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، (د ت)، ص 34.

[3] – شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص 49.

[4] – إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، ص 106.

أبعاد الثقافة، ويعتمد على التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة، وعلى الخبرات الفردية، التي يمر بها الفرد والتي تكمل صياغة شخصيته".[1]

وعلى حد قول الكاتبة عزيزة مريدن في كتابها "**القصة والرواية**" فإن البعد الاجتماعي يتمثل في انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية معينة، وفي عمل الشخصية ونوع الأدب، وكذلك في التعلم وملابسات العصر وصلتها بتكوين الشخصية، ثم حياة الأسرة في داخلها، الحياة الزوجية والمالية والفكرية وصلتها بالشخصية ويتبعه في ذلك الجنسية والتيارات السياسية والهوايات السائدة، وإمكان تأثيرها في تكوين الشخصية"[2]، فأبعاد الانتماء تظهر جليا في هذا الجانب من خلال الدين الإسلامي والوطن والأسرة والمجتمع.

4 - مكـــانـــــــــة الشخصيـــــة في الروايـــــــــة:

تعتبر الشخصية في الرواية كالروح في الجسد، أو الدم الذي يسري في العروق ومن هذا المنطلق: "لا أحد يجادل في كون الشخصية تقع في صميم الوجود الروائي ذاته، ... إذ لا رواية بدون شخصية تقود الأحداث وتنظم الأفعال وتعطي القصة بعدها الحكائي".[3]

"ثم أن الشخصية الروائية، فوق ذلك تعتبر "العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية لنمو الروائي وأطراده "[4]، وتكون الشخصية " جزءا مكونا وضروريا لتلاحم السرد". [1]

---

[1] – محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية و قطاع غزة، 1967 – 1993، ص 14.

[2] – عزيزة مريدن، القصة والرواية، د ط، دار الفكر، دمشق، 1980، ص 29.

[3] – حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1990، ص 20.

[4] –نفسه, ص 20.

"والشخصية في العمل الروائي على الخصوص مجرد تمثيل لفكرة أو أطروحة ما تدخل فتتعارض مع شخصيات وأطروحات أخرى، أي الفرد كما هو موجود في الواقع أي ذلك الإنسان الحي الذي يعمل، ويعيش، ويفكر، فالشخصية تعتبر عنصر إلهام في الرواية، فهي المحرك الرئيسي لأحداثها وهي التي تنظم السرد وعناصره أي تضبطه سواء أكانت خيالية، أم واقعية، فأفراد الرواية والقصة والمسرحية هم الذين تدور حولهم هذه الأحداث، فعندما يتمكن قارئ الرواية من رؤية نفسه داخل شخصية من الشخصيات الروائية، أو باكتشاف جانب منها, فمعنى هذا أنها ركن أساسي من أركان البناء الروائي, فهي تتحقق من التلاحم العضوي بين عناصر العمل الروائي من زمان ومكان وحدث وأنواع سرد مختلفة تؤلف بينها، وهي مهمة للقارئ فكلما كانت الشخصية جذابة ومقنعة, جسد القارئ نفسه أو عالمه الداخلي في حركات سلوكية مركزة ومنصبة على الشخصية التي يرى نفسيته فيها ".[2]

كما يقر إدريس بودیبة بأهمية الشخصية ودورها البارز في المعمار الروائي بقوله: "تعد الشخصية الروائية من العناصر الأساسية في بناء القصة، لا يمكن أن يستغني عنها الكاتب لأنه لا يمكن أن يصور حياة من دون أشخاص يتحدثون و يفعلون، وتتعدد شخوص العالم القصصي بقدر تعدد وتشابك الأفعال والأفكار، فكلما كان هذا العالم واسعا احتاج الكاتب إلى خلق شخوص يملؤون هذا العالم، بصفة مضطردة".[3]

---

[1] – نفسه، ص 209 .

[2] – سعيد بن كراد، سيميولوجية الشخصيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط2، د ت، ص 29.

[3] – إدريس بودیبة، البنية و الرؤية في روايات الطاهر وطار، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة ،ط1 ، 2000، ص 85

" ولا يستطيع أي ناقد أو دارس للأدب أن يغفل دور الشخصية في الرواية مهما كان الموضوع الذي يركز عليه، بل إننا نبالغ إذا قلنا: أن تطور فن الرواية عبر المذاهب الأدبية المختلفة يتجلى من خلال رسم الشخصيات الروائية، وبيان دورها في الحياة ومنظورها له، والذي يعكس رؤية الكاتب وانتمائه لهذا المذهب أو ذاك، أو انطلاقة من المنهج الرومانسي، أو الواقعي" [1], فالشخصية الروائية بمثابة القلب النابض لكل رواية.

" والشخصية هي من أهم العناصر التي تقوم بها القصة وفي الواقع أن حيوية القصة مرتبطة بوجود الشخصيات، لأن وجود القصة نابع من شخصيات القصة، والشخصية هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث، وقد تكون الشخصية من الحيوان، فيستخدم عندئذ كرمز يكشف عما وراءه من شخصية إنسانية تهدف من ورائها العبرة والموعظة، كما في " **كليلة و دمنة**" والقصص التعليمية الأخرى".[2]

فكل الكتاب والأدباء والنقاد يشتركون جميعا في كون الشخصية هي العمود الفقري الذي تقوم عليه الأحداث وتتفاعل به، فلا يمكن أن نجد معمارا روائيا بدون شخصيات، فهي التي تتمتع بالدور البارز مقارنة مع بقية العناصر السردية المكونة للرواية.

5- طرق عرض الشخصيات :

يعمد الكاتب في رسم شخصيات قصته إلى وسائل مباشرة وأخرى غير مباشرة، ولكل كاتب أسلوبه وطريقته الخاصة به, فهو يسعى إلى تقديم شخصياته على أحسن وجه وأجمل حلة.

- الطريقة المباشرة (التحليلية):

---

[1] – محمد علي سلامة، الشخصية الثانوية و دورها في المعمار الروائي، عند نجيب محفوظ، ص 12،13.

[2] – حسن شوندى، آزادة كريم، رؤية إلى العناصر الروائية، ص 53.

وهي أن "يقوم برسم شخصياته من الخارج، يشرح عواطفها وبواعثها وأفكارها وأحاسيسها، ويعقب على بعض تصرفاتها، ويفسر البعض الآخر، وكثيرا ما يعطينا رأيه فيها، صريحا دون ما التواء" [1]، " وهي التي يصور الكاتب فيها أشخاصه من الخارج ويحلل عواطفهم ودوافعهم وإحساساتهم وكثيرا ما يصدر أحكاما عليهم".[2]

كما نجد شريبط أحمد شريبط يقول في كتابه "تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة", "هي طريقة مباشرة، يعنى في رسمها من الخارج، حيث يذكر القاص تصرفاتها، ويشرح عواطفها وأحاسيسها بأسلوب صريح تتكشف فيه شخصيته وتوجيهه لشخصياته وأفكارها وفق حاجته والهدف الذي رسمه كما ترد ملامحها".[3]

- الطريقة غير المباشرة (التمثيلية):

يستعملها الروائي ليفتح المجال أمام شخصياته لتعبر عن ذاتها وتكشف مكنوناتها فهي التي تستخدم " لينحي نفسه جانبا، ليتيح للشخصية أن تعبر عن نفسها وتكشف عن جوهرها، بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة، وقد يعمد إلى توضيح بعض صفاتها، عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها، وتعليقها على أعمالها، وهذه الشخصيات تقوم هنا مقام الجوقة في المسرح الإغريقي، فهي تعلق على الحوادث، وتوضح خطوط سيرها وتبرز نتائجها الخلقية ".[4]

---

[1] – محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، لينان، ص 81.

[2] – صبحية عودة، غسان كنفاني: جماليات السرد في الخطاب الروائي، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005، ص 118.

[3] – شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، 1947 – 1985، ص 34.

[4] – محمد يوسف نجم، فن القصة، ص 98.

فالراوي يترك للشخصية " أن تنضو الحجب عن جوهرها بواسطة البوح والاعتراف وتداعي الأفكار، والمراجعة الداخلية، وهكذا تنكشف لنا الشخصية بالطريقة التمثيلية".[1]

كما نجد أنه في النقد الحديث يؤثر استعمال الطريقة التمثيلية لأنها" تكَشُّف الشخصية من الداخل إلى الخارج أقوى أثرا وأدق تعبيرا من وصفها وصفا خارجيا ".[2]

أهمية الملاحظة الدقيقة والتجارب الحية في حبك حكاية القصة وتطويرها يمكن تطبيقه على رسم الشخصية، فعلى الكاتب الذي يعنيه أن يقدم لنا شخصية حية صادقة، أن يتعمق في دراسة الطبيعة الإنسانية عامة، وأن يفطن إلى دوافع الإنسان وانفعالاته.

لكل طريقة إيجابياتها في بلورة ما يدور في ذهن الكاتب سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، فالكاتب البارع يمكنه أن ينتقي من كل طريقة ما يتناسب وغرضه المنشود في رسم شخصياته؛ لينير ويبرز جوانب متعددة من دورها وقد يجمع بعض الأدباء الطريقتين في تقديم شخصياتهم وذلك ناتج عن اهتمامهم بشخصياتهم وتقريبها من القارئ، فالشخصية هي التي تفصل في جودة ونجاح الرواية وتستلهم القارئ بالمتعة والتشويق.

6- أساليب رسم الشخصية :

تعددت أساليب رسم الشخصية ولكل كاتب طريقته الخاصة به، وقد اقتصرت على ثلاثة أساليب هي :

---

[1] – نفسه، ص 99 .

[2] – نفسه، ص 100.

أ- **الأسلوب التصويري:** يرسم الروائي فيه الشخصية من خلال حركتها وفعلها وصراعها مع ذاتها أو مع غيرها، راصدا نموها من خلال الوقائع والأحداث، حيث يعطي الاهتمام الأكبر للعالم الخارجي. [1]

ب- **الأسلوب الاستبطاني** : ويقصد به الأسلوب الذي يمكن الروائي من ولوج العالم الداخلي للشخصية الروائية وتصوير ما يدور فيه من أفكار، وما يتصارع فيه من عواطف وانفعالات، وما تتناوب عليه من رؤى وأحلام وذكريات في عفويتها وتلقائيتها، كاشفا بهذا التصوير حقيقة تلك الشخصية [2]

كما يعرفه محمد عزام في كتابه "شعرية الخطاب السردي" بأنه "الأسلوب الذي يلج فيه الروائي العالم الداخلي للشخصية الروائية كما في روايات (كبار الوعي) التي تعود جذورها إلى كشوفات علم النفس الحديث، حيث تعتمد هذه الروايات على تقنية الاستبطان، والمناجاة، والمونولوج الداخلي للشخصية".[3]

ج- **الأسلـــوب التقـــــريـــــري:** هو الأسلوب الذي يقوم فيه السارد/المؤلف بتقديم الشخصية الروائية من خلال وصف أحوالها، وعواطفها وأفكارها، بحيث يحدد ملامحها العامة منذ البداية، على الأغلب ويقدم أفعالها بأسلوب الحكاية؛ أي في الماضي وعلى شكل ملخصات معلقا على أفعالها ومعللا لها بأسلوب مباشر. [4]

وبذلك فلكل كاتب طريقته الخاصة في رسم شخصياته، ولكل أسلوب من الأساليب الثلاثة أهميته في الكشف عن جانب من جوانب الشخصية؛ بتصوير كل ما

---

[1] – محمد عزام، شعرية الخطاب السردي (دراسة)، ص 19، 20.

[2] – فريال كامل سماحة، رسم الشخصية في روايات حنا مينة، دراسة أدبية، الطبعة العربية الأولى، 1999، ص 41.

[3] – محمد عزام، شعرية الخطاب السردي (دراسة)، ص 20.

[4] – فريال كامل سماحة، رسم الشخصية في روايات حنا مينة، ص 49.

يحيط بها داخليا وخارجيا ووصف كل ما يتعلق بها بدقة لكي تصل إلى القارئ وتترك فيه أثرا طيبا بعدّها شخصية حقيقية لا متخيلة.

- الفصل الثاني -

رسم الشخصيات في رواية "قدس الله سري"

أولا– قراءة في شخصيـــــات روايـــــة قدس الله سري

ثانيا– أساليب رسم الشخصية في رواية قدس الله سري

1. رســـم الشخـــــات عن طرــق الســـرد
2. رســـم الشخصـــات عن طريـــق الحـــوار
3. رســـم الشخصيـــــات عن طريـــق الحـــوار الداخلي

ثالثا– علاقة الشخصية بالمكونـــــــات السردية الأخرى

أولا- قراءة في شخصيات الرواية "قدس الله سري":

تنوعت وتعددت الشخصيات في رواية "قدس الله سري" فقد زخـــر عالمـــه الروائـــي بشخصيات عربية، أوربية، ويهودية, حيث تقـــوم الروايـــة علـــى تحـــاور حضـــاري واجتماعي بين الديانات الثلاث: الإسلام, والمسيحية, واليهودية ومن هنا إبراز جماليات ومكانة الدين الإسلامي.

وأغلب هذه الشخصيات هي شخصيات حقيقية، مستمدة من بيئة الكاتب أضـــفى عليهـــا بعض المتخيل السردي الذي مزج فيه إبداعه وبراعته:

الشخصيات الرئيسية:

* **نائل بن سالم:** وهو الشخصية المحورية التي تدور حولها الأحداث, وهو البطل الذي استحوذ على حيز كبير من المعمار الروائي, وهو شاب جزائري في مقتبل العمر, كان يعيش حياة هامشية إلى أن التقى بأدريان التي شكلت منعرجا حاسما في حياته.

"في ذلك اليوم عرفت المعنى الحقيقي لأن أكون بشرا, وأن أتمتع بكل ما وهبه الله لي, من العين إلى القلب, إلى الفكر الممتلئ بصخب الحياة وتفاصيلها المغرقة فـــي التعقيـــد والمفرطة في التفاهة.... تبين لي في تلك اللحظات أنني إنسان يتمتع بإنسانيته"[1].

* **أدريان موريالك (شمس النهار):** وهي الشخصية الثانية التـــي تمحـــورت حولهـــا الأحداث, وقد قدمها الروائي بصورتين: صورة في الماضي, وصورة فـــي الحاضـــر, الأولى في فرنسا, والثانية في الجزائر, وقد مثلت صورة فرنسا في الجزائر "وضـــعني كلام ستيفاني في مفترق الطرق أمام حياتي, حياتي السابقة وحياتي القادمة, لقـــد كنـــت مخيرة بين أن أغير أو أحافظ على نمطي القديم"[2].

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 42.

[2] – نفسه, ص 103.

الشخصيات الثانوية :

* **نانّا الضاوية:** وهي ولية من أولياء الله الصالحين, صاحبة حكمة, عارفة بـــالأحوال, قادرة على فك السحر, وقراءة المستقبل, وإيجاد الحلول على من استعصت عليه, وقـــد شغلت حيزا كبيرا داخل المتن الروائي.

* **الأم بنت حليتم:** رسمت هذه الشخصية بدون اسم، وقد جسدت دور الأم بكل ما تملك من حنان وطيبة، متمسكة بعادات وتقاليد المجتمع الجزائري (البوسعادي),"...لم تلبـــث أن عادت إلى توزيع حنانها ليشمل حتى أدريان"[1] كما أنها عانت كثيرا في حياتها "لـــم يبق لها الزمان رونقا منذ أخذ منها أكثر مما أعطاها"[2].

* **سالم بن يحي:** الملقب بسالم العقون, لم يتحمل صدمة وفاة ولديه" عيسى وموســـى " بسبب وباء الطاعون حتى فقد صوته للأبد، كما كان محبا لعمله ووطنه "سي سالم رجل غال علي وأنا لا أريد له أن يتألم أكثر, لقد لاقى في حياته من المصائب ما يكفيه"[3].

* **الشيخ سليمان بن إبراهيم بَاعْمُرْ:** وهو إمام مسجد المرابطين, وواحد من مـــوقري المدينة والمعدودين فيها, وهو صديق إتيان ديني الذي كان له الفضـــل فـــي اعتناقـــه الإسلام " فقد كسبوا من ورائه كنزا اسمه ناصر الدين ديني"[4].

* **الشيخ الطاهر بلحيدوسي:** وهو إمام مسجد أولاد حميدة ببوسعادة, وكـــان لـــه دور فعال في هذه المدينة لما يتمتع به من مكانة ووجاهة وتقديم يد العـــون للجميـــع "هـــذا الرجل معروف عنه منذ عهد بعيد أنه لا يردّ لقاصد طلبا مادام حلالا"[5].

---

(1) – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري, ص144.

(2) – نفسه, ص 145.

(3) – نفسه, ص 194.

(4) – نفسه, ص 48.

(5) – نفسه, ص 137.

* **الأختين عويشة والغزال:** ولدتا بكماوتين وهما توأم, لم ينطقا إلا بحرفي الباء والميم رمز الأب والأم "....عندما بلغت أختاي الثالثة من عمرهما ولم تتمكنا مـــن نطـــق إلا حرفي الباء والميم لعويشة عينان سوداوان ولغزال عين بنية وأخرى خضراء"[1].

* **لالة الغزال عويشة:** قيمة مسجد النخلة, نذرت نفسها لخدمته بعدما فقدت الأمل فـــي الزواج بسبب فقدانها لبصرها, تتمتع بجمال فائق " لكنها كانت جميلة,.....نذرت نفسها لخدمة مسجد النخلة"[2].

* **الشيخ بلقندوز:** صاحب محل الصوف الذي يعمل فيه نائل، وهو طيب ووفـــي فـــي مساندته للأسرة اليهودية, وكان متسلطا في معاملته لعماله. " هو لا يقول شيئا أبدا فهو لا يحسن إلا ألفاظ التوبيخ والعتاب خاصة إذا كان يحدث أحدا"[3] " وحده بلقندوز ظـــل وفيا لصديقه"[4].

* **سي بلقاسم:** رئيس القوم لقافلة قادمة من بسكرة, يشتهر بنظمـــه الـــذي ردده حـــين ضاقت به سبل الحياة ورحلت عنه لالة الغزال عويشة:

الـــغْزَالْ عْـــوَيْشَـــة وْخْدِيمكْ رَاهُو مْشَـــا
فِي نُقْصَـــــه عَـــشَّى وْدْمـــُوعُـــه سَـــالُـــوا
عَـــوْدُهْ الـــبَحْبـــَاحْ بَعْدْ مَا نـــْهَضْ طَاحْ
وأنا خْـــدِيمْ الصُّلاح من بكْرِي إذا سَـــــالُوا[5]

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 163.

[2] – نفسه, ص 158.

[3] – نفسه, ص 15.

[4] – نفسه, ص 185.

[5] – نفسه, ص 24.

* **فيليب:** زوج أدريان, كان يعيش لأجل المتعة والقمار, هَربَا معا إلى الجزائر. "كـــان يعيش من متعته ولأجلها"[1].

" وقد كان في تلك الفترة إنسانا آخر غير الذي عرفته قبلا, فقـــد بـــدت حياتنـــا أكثـــر تنظيما"[2].

* **أنطوانيت:** هي والدة أدريان بالتبني، وكانت ذات شخصية متسلطة," كانت تهتز فـــي مكانها كما كانت تفعل في كل مرة تشعر فيها بالغضب"[3], وهذا مـــا جعـــل زوجهـــا يبغضها " أن بغض لودفيك لها لم يكن آتيا من فراغ"[4]. كما كانت تتصـــف بالخيانـــة ".....لتتخلص من رجل ما عاد يسكن قلبها, وقد حل مكانه غيره...." [5].

* **لودفيـــك:** وهو أب أدريان بالتبني, شخصية سلبية, أخذ منها حريتها وبراءتها "...منذ فقدت براءتي على يد لودفيك"[6].

* **سيمـــــــــون:** صديق فيليب زوج أدريان, يتصـــف بالنذالـــة والخبـــث " ابتســـم بخبث"[7].

* **ستيفـــــــــاني:** وهي امرأة فرنسية, صديقة أدريان تعرفـــت عليهـــا علـــى مـــتن الباخرة, مثقفة, تتميز بالعفوية والثقة, وقد كانت مصدر سعادة لها "لقد كانـــت ســـتيفاني عرابتي, وولية حريتي وحياتي الجديدة"[8].

---

(1) – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 76.

(2)– نفسه, ص 112.

(3) – نفسه, ص 70.

(4) – نفسه, ص 71.

(5) – نفسه, ص 69.

(6) – نفسه, ص 100.

(7) – نفسه, ص 83.

(8) – نفسه, ص 98.

* **برنـــــــــــــــار:** صاحب دكان البقالة الذي تعلمت منه أدريـــان حـــب الحيـــاة واكتساب روح جديدة "جعلني أعتقد بوجود سبب مقنع لحب الحياة, من ذلك المشـــرف على الموت"[1].

* **حميدوش اليهودي:** وهو صديق الشيخ بلقندوز, وهو جد زليخة.

* **العجـــــــــــــوز بوشونة:** وهي جدة زليخة, تمتهن السحر, تنحدر مـــن أســـرة يهودية.

* **زليخـــــــــــــــة:** هي تحب نائل بطل القصة, تركها زوجها ولها طفلان, وهي تمثل صورة اليهود في بوسعادة .

* **ريمون شيشبورتيش:** شخصية يهودية, صاحب مقهى.

* **الجد الذوادي:** وهو جد نائل, الذي لم يراه ولن يراه, وكان مقدّم العرش.

* **مـــــــــــــــــراد:** صديق ستيفاني.

* **بنيامـيـــــــــــن:** صاحب الحانة التي اشتغلت فيها أدريان.

* **الراقصة يمينـــــــــة:** مهنتها الرقص نتيجة ظروفها الاجتماعية.

إضافة إلى مجموعة من الشخصيات التي أدت دورها في المتن الروائي على حســـب الهدف الذي قصده الكاتب وهي: (عمر, بلعلا الحملاوي, طفلي زليخة, بليون وأوسكار, العارم زوجة بلقندوز, امحمد الفرجاوي, عمي بنعمون, أزواج نانّا الضـــاوية, محمـــد بودراعة، زوجة محمد الفرجاوي).

ومن الشخصيات المرجعية التي زادت المتن الروائي جمالا, وأضـــفت عليـــه تمســـك الكاتب بتاريخه واستحضارها لإبراز جانب من جوانب الحيـــاة الثقافيـــة والحضـــارية والتاريخية لمدينة بوسعادة.

---

[1] – نفسه, ص 89.

* **الأمير الهاشمي بن محي الدين:** كان ضريرا, وله دور فعال فـــي توعيـــة الشـــعب الجزائري.

* **الأمير خالد:** وهو ابن الأمير الهاشمي, كان يهوى الصيد والفروسية.

* **الرسام إتيان ديني:** اعتنق الإسلام, وكان يزداد شغفا ووفاءا بحب مدينـــة بوســـعادة التي دفن بها وسمي متحفا باسمه، كما أن ضريحه موجود بها.

* **خير الدين بربروس الملا ابراهيم, والي دادة.**

إضافة إلى أن الروائي محمد الأمين بن ربيع استحضر مجموعة من الأولياء الصالحين وقدمها بأسمائها الحقيقية, كما تجدر الإشارة أن أغلب شخصيات الروايـــة مـــن بيئـــة الكاتب، وكلها أثناء تواجد الاستعمار الفرنسي بالجزائر, فوفرة المواصـــفات باللبـــاس توحي إلى محاولة ارتقاء السرد بالشخصيات إلى مســـتوى الإيهـــام بواقعيـــة الـــنص الروائي, كما أن جل الأسماء مركبة تشير إلى إثراء وتنويع دلالة التسمية، والتعيـــين ضمن المسار السردي حيث تحيل هذه المزاوجة إلى منح الشخصـــية صـــفة الوقـــار والاحترام .

ثانيا- أساليب رسم الشخصيات في رواية قدس الله سري:

حظي تاريخ مدينة بوسعادة لدى الروائي محمد الأمين بن ربيع في روايته" قـــدس الله سري" بمكانة بارزة، ويتجلى ذلك في استثماره لطرح شخصـــياته، حيـــث قـــدم لنـــا شخصيات حقيقية تاريخية كان لها دور جلي خلال حقبة زمنية معينة، أضـــفى عليهـــا جمالية وبراعة المتخيل الروائي؛ أي المزج بين الواقع والخيال، حيث أن الواقع شـــيء لابد منه للنص الأدبي المتخيل، وهذا ما يركز عليه الروائي فـــي كيفيـــة استحضـــار التاريخ .

وقد تعددت طرق وأساليب رسم الشخصيات الروائية، ولكل كاتب أســـلوبه وطريقتـــه الخاصة التي تستهويه في رسم شخصياته؛ بإبراز أفعالها وسلوكاتها ودورهـــا خـــلال

المتن الروائي، لأنها هي التي تستهوي القارئ وتشده منذ البداية، وتترك فيه أثرا طيبا، فنجاح الرواية أو فشلها متوقف على نجاح الكاتب في طريقة رسم شخصياته.

وقد تكون روعة الرواية وقوتها عند حد قول الكاتب محمد يوسف نجم في كتابه " فـــن القصة" نتيجة مقدرة مؤلفها على رسم الشخصيات التي لا تختلف في ملامحهـــا عـــن الشخصيات الإنسانية المعروفة. [1]

ومن هنا سنعرج على كيفية رسم الكاتب محمد الأمين بن ربيـــع لشخصـــيات روايتـــه "قدس الله سري"، حيث تزخر هذه الرواية بلوحة فنية رائعة للتعـــايش الســـلمي بـــين الشخصيات رغم اختلاف دياناتها وهوياتها، ومن هنا يمكن تقسيم هذه الأســـاليب إلـــى ثلاثة، أولها التي يقدمها الراوي أو أحد الشخصيات، ثانيها التي قدمت نفسها، وثالثهـــا عن طريق ما يدور بينها وبين ذاتها.

1– رسم الشخصيات عن طريق السرد :

يعد السرد العنصر البارز والمسيطر على أسلوب الرواية، لأنه صيغة ضرورية لنقـــل أحداث الرواية من صورتها الواقعية إلى الصورة اللغوية، ومـــن أســـاليبه الإخبـــار، الكشف، الحوار...

فتقنية السرد الرائعة في رواية قدس الله سري تنطلق من خلال الحوار الذي دار بـــين البطلين عن طريق الاسترجاع لماضي كل منهما(نائل وأدريان)، حيث قدم لنا الـــراوي أغلب شخصياته الثانوية من خلال بطلي الرواية، مثلا نجد البطل نائل بن سالم قدم لنا شخصياته التي صادفها في حياته، ونفس الشيء بالنسبة للبطلة أدريان مورياك، وعـــن طريق السرد أيضا قدمت لنا كل من عايشتهم والتقتهم في حياتها، ومن أمثلة ذلك:

1-1- نائل بن سالم :

[1] – محمد يوسف نجم، فن القصة, ص 57.

جسد لنا الكاتب محمد الأمين بن ربيع صورة الشعب الجزائري في شخصية "نائل بـــن سالم", وقد اختار هذا الإسم للمحمول الثقافي والتاريخي وكذلك ارتباطا بـــأولاد نايـــل (المنطقة) أما لغة فهو من الفعل "نال" وقد نال ما أراده وقدس الله سره في النهاية.

وعن طريق السرد يقول: "وعرفت أن الذي ساقها على درب البحر كان ينوي الـــزج بها في قلب رجل يدعى نائل يسكن بوسعادة ليس له من هذه الحياة سوى قلب يعـــيش ليمنحه الحب, باحثا عنه في كل زاوية وركن, كشيء جامد يقطف من مكان نبتـــه, لـــم يكن يدري أنه غزال شارد طريد في ذي الأراضي يبحث عن ملجأ يأويـــه, وصـــخب الحب الذي يعتمل بين جنبي صدره يثير فيه الصورة الأولى للحبيب الموعود...." [1].

بأسلوب سردي منمق, يمنحنا الكاتب ملخصا حول حياة نائل البطل فهـــو شـــاب كـــان يعيش حياة هامشية في كنف أسرته, يمثل كل شاب جزائري في تلـــك الفتـــرة, حيـــث تستهويه فرنسا كما هو حال شبابنا اليوم, إلى أن اقتحمـــت حياتـــه الفرنســـية أدريـــان وأصبحت منبع السعادة له بقوله:"....في معرفة ما تحمله لي من ســـعادة..." [2]، فهـــذا الحدث غير حياته وحياة أسرته, كما نجد في موضع سردي آخر قوله: "لن أنسى أبـــدا كيف جاءت ذلك اليوم وهي تحمل لي أكثر من مفاجأة ألقتها في وجهي دفعـــة واحـــدة" [3].

كما نجد أن نائل عاش قصتين في حياته الأولى مع زليخة اليهوديـــة, التـــي ســـحرته وأبرزت لنا الجانب الديني له بقوله:" الله ما أعظمه, حين سحرتني زليخة وأمها, عرفت ما معنى أن تعبد الله, ألا تنساه لمجرد أنك تعتقد أنه نسيك أو لم يعد يهتم لأمرك أنا مت

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 40.

[2] – نفسه, ص 33 .

[3] – نفسه, ص 44.

وعدت إلى الحياة, وفي البرزخ أدركت ما معنى أن يكون للواحد إله يتشبث به كـــي لا يموت إنسانا ويبعث حيوانا....."[1].

1-2- أدريان موريـاك:

رسم لنا الكاتب محمد الأمين بن ربيع شخصية أدريان مجسدة في صورة فرنسا عـــن طريق السرد بقوله:" اسمها أدريان موريـاك, تعيش على وقع موسيقى قلبهـــا منـــذ أن علمت أن لديها مواطن في الروح عليها اكتشاف كنهها لئلا يكون لنفسها عليهـــا حجـــة بعد رؤاها"[2].

وفي موضع سردي آخر يصف لنا الجانب الخارجي بقوله:"...كانت متجليـــة كمـــلاك يتشح بالوردي, وتسدل على وجهها قطعة قماش بيضاء مثبتة على حافة قبعتها, شـــفافة تمنح لرائي الوجه المخبئ خلفها انطباعا بأن الله قد يختار من بين البشر مـــن يجعلـــه يضاهي ملائكته جمالا ونورا"[3].

قدم لنا محمد الأمين بن ربيع رسما دقيقا لأدريان بعدّها رمزا للحضارة والعدل والتمدن فهي ذات جمال رائع تشبه الملاك وكأنّ الله اختارها من بين كل البشر.

لقد خفق قلبها من الوهلة الأولى للبطل "نائل" فهي التي هربت من فرنسا وزوجها بحثا عن الرجل العربي الشهم الذي يمنحها الحب والحنان والأمان والاستقرار, وكذلك حبـــا منها في هذه الحياة, في هذه الشمس وكذلك حبا منها في مدينة بوســـعادة, وذلـــك مـــن خلال قولها:" قلبت في ذهني مجموعة من الأسماء أبحث عن أحدها لأتسمى به, فـــإذا نزلت على تلك الأرض عدت جديدة لا علاقة لي بتلك التي غادرت فرنسا"[4] وقولهـــا

---

[1] – نفسه, ص 135.

[2] – نفسه, ص 39.

[3] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 41.

[4] – نفسه, ص 93.

أيضا: "شمس النهار اسمي الذي قررت أن أحمله بعد أن أنزل علـــى أرض الشـــمس, وأحتضن رمالها ونخيلها وجمالها, وكل ما فيها من دفء ونبض...." [1].

هذه صورة الجزائر "بوسعادة" التي تتمتع بجمال وحرية, حيث استهوت الآخر الغربـــي لأنه يجد فيها ما لم يجده في فرنسا, هذه المرأة التي غيرت اسمها وعقيدتها بقولها: " لم أكن أعتقد أنه سيأتي علي يوم, أضطر فيه لتغيير معتقدي, رغم أني لم أكن تلك المؤمنة التي بإمكانها أن تفخر بتعصبها لانتمائها الكاثوليكي, ربما كان مجرد سد لثغرة اســـمها البعد الروحي...على كل حال مسألة المعتقد لا تهمني"[2].

لكن هذا الدخيل الفرنسي مهما حاول التعايش في أرض الجزائر, إلا أن هويته الحقيقية تظل راسخة في ذهنه, وهذا ما يتجلى لنا في موقف أدريان عند رفضها التوقيع علـــى الوثيقة التي محتواها.

" Moi Adrianne Mauryaque je concède sans conditionnels ou forcement , que je suis musulmane . Et j'accepte d'être les l'èpouse nacer edet de Nail Ben Salem .les temoins ;
Slimane Ben Brahim

Bou Saada le ;12 mai 19913 la signeture."[3]

من خلال موقف أدريان واعتراضها على توقيع الورقة تظهر الصورة الحقيقية للبطلـــة التي تهوى الحرية, ولا تستطيع العيش تحت سلطة أي كان, وأن الصورة التي ظهرت بها ما هي إلا صورة زائفة عكست حقيقتها, كما عكست أيضا اســـمها فالشـــمس كمـــا تشرق تغرب, وهذا ما ينطبق على التواجد الفرنسي داخل الجزائر.

فقد وصف لنا هذا الموقف عن طريق السرد من خلال الصورة التي قـــدمها الشـــريف نذير لنائل بقوله "مددت يدي بجانب الفراش حتى أمسكت بالصورة, حملتها وقربتها من

---

[1] – نفسه, ص 104 .

[2] – نفسه, ص 67 .

[3] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 171.

وجهي, كانت ذات ملمس ناعم, ولون بني غامق, تضم امرأة بكامل أناقتها, تعتمر قبعة ذات حاشية من القماش المخرم, تقف بجانب سيارة, وتحمل في يدها حقيبـــة صـــغيرة, مبتسمة غير مبالية ,كأنها خلقت لتبتهج وتبتسم, وفي أسفل تلك الصـــورة كتـــب بخـــط أنثوي دقيق, وبالكثير من التأني باتجاه بسكرة"[1].

ونجد أن محمد الأمين بن ربيع قدم وصفا رائعا ودقيقا للفرنسية أدريان التي اختـــارت لها اسما آخر وهو شمس النهار, وكما يقال لكل بداية نهاية؛ وهذا ما نجده فـــي قـــول نائل: ".... دسست الصورة بين الجمر, فانطلق منه دخان كثيف, وانبعثت في أرجـــاء الكوخ رائحة نتنة تزاحم عبق البخور الذي تضعه أمي كل صباح في المجمر, ورائحة عنبرها الذي تطوق به عنقها, لكن لم تلبث أن زالت ....." [2].

فالكاتب يصف لنا شعورنائل من مغادرة أدريان بأنها مجرد حالة عابرة, ســـرعان مـــا انقضت ولم يبق منها إلاّ الرماد رمز الاحتراق, يريد أن ينتزعه من ذاكرته ليرمي بـــه هو الآخر في بحر النسيان مثلما رمى الصورة في الكانون, وبهذه العبارة أسدل الستار على هذه اللوحة الفنية التاريخية الرائعة, من إبداع الروائي محمد الأمين بن ربيع.

1-3- شخصية نانا الضاوية:

رسم محمد الأمين بن ربيع شخصية نانا الضاوية بدقة رائعة، انطلاقا من دلالة اســـمها الذي يعني الجدة: وهي كلمة تختصر بـــ " النّا" عندما يستعمل كلقب تقدير للشخصيات الثورية الجزائرية النسوية أو الفنانات الجزائريات من الجيل القديم، والضاوية نسبة إلى الضوء ونجد ذلك في قوله:" هي الضاوية بنت المولود، حكاياتها لا تنتهي، والحكايـــات التي نسجت عنها لا تقل عن تلك التي ترويها غرابة، قيل لي أن عمرها ممتـــد لا حـــد

---

[1] – نفسه, ص 195.

[2] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري, ص196.

له، كل واحد يروي لأبنائه أنه عاصر نانّا الضاوية"، وأنا بدوري سأروي لأبنائي أنني قد عاصرت هذه المرأة." [1]

فشخصية نانّا الضاوية تشغل حيزا كبيرا في خضم المتن الروائـــي، فهـــي مـــن بـــين الشخصيات التي لها دور فعال في تحريك أحداث الرواية لمكانتها وحكمتها التي ورثتها عن السيدة الكبيرة الغُزال عويشة بنت الجُوهر، وهذا ما جاء على لسان البطـــل حـــين أخبرته أمه بذلك في قوله: "لولا نانّا الضاوية لمت أنا الآخر وجميـــع أهـــل بوســـعادة بالطاعون، بحكمتها التي أتاها الله العلي"[2]، وفي مقطع سردي آخر يثبـــت دور نانّـــا الضاوية وفضلها على سكان مدينة بوسعادة حينما اجتاحها الطاعون بقوله: " ... بقيت أنا بعد أن وضعت لي نانّا الضاوية رقية كتبتها في قطعة قماش ربطتها حول صدري، اليوم لا أحد بإمكانه أن ينكر أن الطاعون رُفع عنّا بمعجزة إلهية خالصة، لا دخل فيها لا للدواء ولا للتطعيم الذي لم نكن نعرف عنه شيئا قبلها".[3]

حظيت شخصية نانّا الضاوية بمكانة متميزة عند الروائي محمد الأمين بن ربيع؛ لأنـــه كان يرمز من خلالها لدلالة الجانب الروحي والديني للمجتمع الجزائري، فمـــن خـــلال هذه المكانة كانت تحمي المجتمع الجزائري من الانغماس في الطابع الأوروبي الغربي؛ وهذا ما تجسد خلال إعادة بعث الحياة من جديد لنائل بن سالم، فهـــي ترمـــز للجانـــب الروحي المتمثل في الدين والأصالة والعادات والتقاليد، واسمها كان دلالة على مكانتها، فهي صاحبة الحكمة، والعارفة بالأحوال والقادرة على فك السحر وهذا ما نجـــده فـــي قوله: "وحدها نانا الضاوية تعرف كيف تخلص المسحور منه، تعـــرف موطنـــه مـــن الجسم، فتستهدفه في ذلك المكان الذي وضع فيه" [4] .

---

[1] – نفسه، ص 19

[2] – نفسه، ص 24.

[3] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 156 ، 157

[4] – نفسه، ص 61 .

فكانت مفتاح الفرج لكل من استعصت عليه عقبات الحياة لأنها كانت صاحبة الحلول.

1-4- شخصية الأم بنت حليتم:

ومن الشخصيات الثانوية أيضا التي عاشت في قلب الأحداث شخصية الأم التي قـدمها الروائي عن طريق البطل، وصورها لكي يتخيلها القارئ فتكون هنا حرية التصـرف للبطل نائل ليبثها للقارئ عن طريق السرد، بنظرته هو، كما عايش الأحداث، فقد رسم الروائي شخصية الأم بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فهي رمز العطـف والحنـان بقوله: " ... ربما أبدت أمي انزعاجها، لكنها لم تلبث أن عادت إلـى توزيـع حنانهـا ليشمل حتى أدريان، فقد رأيتها كيف سوت لها الفراش ثم غطتهـا بحنبـل الصـوف الأبيض الذي كانت تتمنى أن تأخذه عويشة معها في جهاز عرسها، حين بدأت تحلم بأن تزوجها لواحد من أبناء إخوتها الموجودين في العاصمة، ويكون هذا الزواج فكا لرباط الخلاف الذي دام بينهم أكثر من اللازم... "[1]

أبدع الروائي محمد الأمين بن ربيع في بعث صورة الأم ورسمها بأحلى حلـة لتصـل للقارئ بصورتها الحقيقية المفعمة بالعطف والحنان، وذلك من خلال موقفها مع أدريان, تلك المرأة الفرنسية التي لا تحبها اعتبرت وجودها كوجود رجل غريب إلا أنهـا لـم تستطع أن تخفي حنانها واعتبرتها بمثابة ابنتها حيث وصف لنا الراوي كيـف قامـت بتسوية الفراش وتغطيتها بحنبل الصوف الأبيض الذي كان في جهاز ابنتها التي تمنـت لها الزواج بابن خالها لإرجاع المياه لمجاريها .

ويمكن أن أعد بأن الروائي رسم صورة الأم بجمالية دلالة على الجزائـر الأم، فكمـا عطفت هذه الأم على هذه الفرنسية الغريبة، جسدها في صورة الجزائـر (بوسـعادة) التي تفتح ذراعيها لكل من يقصدها، بغض النظر عن جنسياتهم بحثـا عـن الحريـة والأمان والطمأنينة وهي نفسها الجنة الموعودة التي حلمت بها هذه المرأة الفرنسية.

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 144 .

ومن خلال تمعني لأحداث الرواية فإن شخصية الأم تمثل الكائن الذي لا يـــتكلم، فهـــي كانت تُؤْثِرُ الصمت كثيرا وهذا في مواقف كثيرة منها: " أمي التي لم تكن تتكلم بقدر ما كانت تعمل: فكأنما خلقت للعمل، بكماء أكثر من والدي وأختي"[1] " امتنعت أمي عـــن طرح أسئلتها الفضولية، وساد الصمت"[2]

وفي قوله أيضا: " لم تكن أمي تبدي ملاحظاتها علنا، ولكنها كانت تأتي بحركات تعتبر أكثر من أي كلام بليغ، تلك الحركات التي حفظنا معانيها صغارا فصرنا نتعامـــل بهـــا أكثر من الكلام، كما كانت عاهة أبي وأختي سببا وجيها لمثل هذا التصرف"[3]

من خلال هذه المقاطع السردية الثلاثة التي تصب في قالب روائي متشابه، نجد أن الأم تفضل الصمت في المواقف التي تنتابها حالة دهشة وانبهار، أو في حالة عدم الرضـــا، كما كانت محبة للعمل، فهي تتفاعل وتنمو من خلال الواقع الذي وجدت فيه، هذا الواقع الذي فرض عليها هذا الصمت بسبب عاهة الأب والتوأمين المتمثلة فـــي الـــبكم، هـــذه العاهة التي نتجت عنها معاناة الأم الداخلية.

فالصمت في بعض الأحيان أبلغ من الكلام وأبلغ أدوات التعبير، ونكتشف ذلك باعتباره يبرز لنا أبعاد الانتماء لهذه الأسرة المحافظة، وأثر التربية واضح لأنه مـــازال يتـــذكر القيم والمبادئ التي تلقاها منذ الصغر، فالصمت هو قمة الانفعال، كما أن الصمت يرمز في بعض الأحيان إلى فقدان حرية التعبير.

1-5- شخصية الأب سالم بن يحيى:

يتجلى دور الأب في هذه الرواية بكونه شخصية ثانوية ومساعدة لابنها بطل الروايـــة، وقدم لنا الروائي صورة الأب من خلال نظرة الابن الخاصة, مثلما عايشه في أحـــداثها بكل أفعالها وسلوكاتها بقوله: " هو سالم بن سليمان بن يحيى، سالم العقون، هكذا يدعوه

---

[1] – نفسه, ص 9 .

[2] – نفسه، ص 10.

[3] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 10.

أهل بوسعادة، كان من الرجال القلائل الذين تجاسروا وأعلنوا رفضهم للوضـــع الـــذي قيدهم فيه الفرنسيس".[1]

تتجسد هذه الشخصية في كونها شخصية ثورية، رافضة للاستعمار وكل ما يتعلق بـــه، فهو شخصية محبة لوطنها وهذا ما استنتجته من خلال هذه المقاطع الســـردية: " أدرك أن جل ما يطمح إليه أن يبني كوخا صغيرا، يضمه هو وزوجته، علـــى تـــراب مدينته التي لم تفارق أحلامه حتى وهو على مقربة من همس البحر"[2] وقوله: " غـــادر بوسعادة رافضا العمل إلا في أرضه، اتجه نحو البحر، كما نصحه الكثيرون أن يفعل، كان ينتظر فرصة أن يجد عملا آخر غير تقليب أرضه لينتفع بها غيره "[3]

فحلمه كان مقترنا دائما بوطنه، وقد كان دوره في الرواية إبراز البعد السياسي وحـــب الوطن, وذلك من خلال فقدانه لصوته وإصابته بالبكم ويرمز ذلك لفقدانه الحرية.

1-6- شخصيـــة زليخـــــــــــة:

رسم الكاتب محمد الأمين بن ربيع شخصية زليخة عن طريق السرد بقولـــه: " زليخـــة التي راودتني عن نفسي حين ولجت عتبة العشرين، كان الفرق ما بيننا عشر ســـنوات، وطفلان نجحت في الاحتفاظ بهما بعد أن رماها زوجها في بيت أهلها"[4]

يبدو من خلال هذا الأسلوب السردي أن هذه المرأة مطلقة وأم لطفلين، وعـــن طريـــق تقنية التذكر أيضا يقول الراوي البطل" كانت عيون زليخة تشيعنا أعرف ذلك، لأننـــي أعرف أنها تعشقني، ولا يمكنها ألا تنظر إليّ وألا تتملاني وتسمعني "[5]

---

(1) – نفسه، ص 147 .

(2) – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري ، ص 148 .

(3) – نفسه، ص 147.

(4) – نفسه، ص 52.

(5) –نفسه، ص 52..

يصف لنا الكاتب صورة المرأة اليهودية من خلال شخصية زليخة التي تكن حبا لنائـــل ذلك الشاب الجزائري الذي حاولت إغراءه، فقد رسم ملامحها عـــن طريـــق الأحـــلام والكوابيس التي كانت تراوده بقوله: " امرأة تلتحف بالسواد سكنت أحلامي، أحالتها إلى كوابيس، كانت مكحولة العينين وبين ذقنها إلى صدرها يمتد وشم أفعى لا أدري أيـــن ينتهي رأسها، كنت أراها مقبلة ومدبرة، أسمعها تتكلم فأصيغ السمع، لكنـــي لا أســـمع شيئا، كانت مجرد تمتمات لا معنى لها، أقترب منها وهي جالسة على بساط يشبه ذلـــك الذي ضاجعت عليه زليخة في بيت حْمَيْدُوشْ اليهودي"[1]

فشخصية زليخة شخصية ثانوية، ولكن كان لها دور بارز في الكشـــف عـــن صـــورة المرأة اليهودية التي هي رمز للخيانة والفساد ونشر الرذيلة فـــي الوســـط الجزائـــري (بوسعادة)؛ وهذا ما جاء على لسان البطل بقوله: " مع كم واحد كانت تفعل ذلـــك؟ لـــم يكن يهمني الأمر على الإطلاق، كل ما كان يهمني هو فعل مـــا أفعلـــه منـــذ أســـبوع والمغادرة "[2]، وقد تم وصفها عن طريق تقنية الأحلام التي تندرج تحـــت الأســـلوب الاستبطاني.

فصورة زليخة هي صورة للمرأة اليهودية التي ترمز لليهود بمكرهـــا وحيلهـــا فهـــي مصدر إغواء, وهذه الصورة يؤيدها تاريخ الماضي والحاضر، وهو مـــا نـــراه فـــي فلسطين وتؤكده الأحداث الراهنة.

فوصفها بالتحافها السواد دلالة على عدم طهارتها وخبثها، حيث شبهها بالأفعى وذلـــك رمز للخيانة وانعدام الشرف ونشر الفساد والرذيلة في أوســـاط الشـــعب البوســـعادي، فاليهود كانوا يحبون الإساءة للعادات والتقاليد.

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 52.

[2] – نفسه، ص 55.

ومن الشخصيات المرجعية التي اعتمدها الروائي محمد الأمـــين بـــن ربيـــع، والتـــي استحضرها من هذا الفضاء والصرح التاريخي الذي تزخر به الدولة الجزائرية ككـــل، وبالأخص مدينة بوسعادة، هذه المدينة العريقة التي استهوت كل من يقصدها بعراقتهـــا وعاداتها وتقاليدها وتراثها وطبيعتها الخلابة، وجمال نسائها، والشخصيات المرجعيـــة كما عرفها فيليب هامون (Philippe Hamon) بأنها: "هي الشخصيات التـــي تحيـــل على دلالات وأدوار وأفكار محددة سلفا في الثقافة والمجتمـــع، بحيـــث يكـــون إدراك القارئ لمضامينها ودلالاتها الرمزية مرتبطا بدرجة استيعابه لهذه الثقافة، وتقـــوم هـــذه الشخصيات المرجعية بوظيفة الإرساء المرجعي بمعنى أنها تـــربط القصـــة بمرجعهـــا الثقافي والتاريخي"[1]

وأهم الشخصيات التاريخية التي حظيت بدور كبير في تاريخ مدينة بوسعادة وتم تسليط الضوء عليها من طرف الروائي محمد الأمين بن ربيع.

1-7- شخصية الأمير الهاشمي :

حظيت شخصية الأمير الهاشمي بمكانة بارزة في المتن الروائي مـــن طـــرف محمـــد الأمين بن ربيع، وذلك بإبراز المسكوت عنه في التاريخ، فالكل يعلـــم بحضـــور هـــذا الأمير إلى مدينة بوسعادة سنة 1894م ولكن المتخيل السردي الإبداعي الـــذي أضـــفاه الكاتب زاد هذا الحضور جمالا ومتعة بمزجه بين الواقع والمتخيل في قولـــه بأســـلوب سردي "ذات يوم صيفي قريب إلى اعتدال الربيع حل ببوسعادة، تحفة أهازيج الســـكان الذين نبّئوا سلفا بمقدمه، لم يبق أحد في المدينة إلا وســـمع بقـــدوم الأميـــر الهاشـــمي وعائلته، قبل يوم وصولهم بعشرة أيام، كأنما كانت الأخبار تنقل مع مســـارب نســـائم الوادي، فتزيد من ابتهاج الناس بهجة أخرى، كيف لا وهو الشريف بن الشريف؟ أحيط

[1] – ينظر، فيليب هامون، سميولوجية الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم عبد الفتاح كيليطو، دار الحوار، ط1، ص 14.

خبر مقدمه بهالة عيد، وعندما وصل احتفلنا كما نحتفـــل فـــي العيـــد، وزع الطعـــام، وتسابقت الخيل، ورقصت النساء، ولعب الأطفال بعد حرمان، كان ذلك عـــام 1894، وقد تم لي في تلك السنة ست سنوات أو أكثر بقليل"[1]

من خلال هذا الأسلوب السردي وصف لنا محمد الأمين بن ربيع المكانة التي يتميز بها الأمير الهاشمي، حيث رصد لنا الكاتب عن طريق الـــراوي البطـــل التحـــاق الأميـــر الهاشمي وحلوله مدينة بوسعادة في جعلها حاضرة، ومنـــذ علمهـــم بحضـــوره بـــدأت التحضيرات لاستقباله هو وعائلته، هذه العائلة التي اختارت مدينة بوسعادة مقـــرا لهـــا ومكانا لإقامتها.

وفي مقطع سردي آخر يواصل الكاتـــب هـــذا الوصـــف المتخيـــل لهـــذا الاســـتقبال "وصل الموكب، قبل صلاة الظهر بقليل، كانت الشمس قد استقرت في وسط الســـماء، وأنفاس الناس انحبست لمشاهدة ذلك المنظر الذي لا يتكرر كل يوم، كان الموكب مكونا من عربة مغطاة يجرها حصانان، وأخريين مكشوفتين، يجر كل واحدة بغـــل، بـــدأت الأصوات تتعالى طلبا لإفساح الطريق للموكب، حتى يتمكن من الوصول إلى بيت بـــن العيفة قائد فرقة أولاد سيدي محمد بن إبراهيم الولي الراقد على بعد خطوات من ذلـــك المكان البهيج" [2]

هذا الحدث المتعلق بشخصية الأمير كان له دور فعال في إدخـــال البهجـــة والســـرور لسكان مدينة بوسعادة، مدينة الجوع، الفقر، الطاعون،...

كما كانت هذه الشخصية تتمتع بالتواضع وذلك من خلال هذا المقطع السردي.

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 150.

[2] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري ، ص 150– 151.

"والحق أن إقامتهم لم تكن لتدوم وهم ينزلون في دار مستأجرة تـــدفع كلفـــة إيجارهـــا الإدارة، كان بإمكانهم أن يبنوا دارا أو يشتروا أحد تلك البيوت المشرفة على الـــوادي، لكنهم لم يفعلوا وظلوا على حالهم تلك عاما بأكمله".[1]

فميزة التواضع نابعة من أخلاق هذا الأمير الذي كان بإمكانه السكن بأفخم منـــزل فـــي مدينة بوسعادة، إلا أنه كان يقطن في منزل مستأجر طيلة المدة التي قضاها في المدينة التي اختارها مقرا له، فهذا الحدث مرتبط بأب نائل الذي تربطه به علاقة طيبـــة مـــن خلال الدور الذي أداه في خدمته.

1-8- سليمان بن إبراهيم بَاعْمُرْ :

هو إمام مسجد المرابطين وهو من الشخصيات الثانوية التي كان لها دور فعـــال فـــي المتن الروائي، كما أنه شخصية مساعدة لأنه كان مرشدا وناصحا ومقدما للمساعدة وقد رسم الكاتب هذه الشخصية عن طريق السرد في قوله: " طلبت مني أن أذهـــب إلـــى الرجل المدعو سليمان بن إبراهيم وهو سيريني ما علي فعله, أنا لم أكن أعرف عن هذا الرجل سوى الاسم، وكونه يصاحب رساما فرنسيا اسمه إتيان"[2]

هو من موقري المدينة وقد اقترن اسمه باسم الرسام العالمي إتيان ديني وكان سببا فـــي اعتناقه الإسلام، ويظهر أيضا دوره في النصح في قول الراوي" " هكذا نصحني ســـي سليمان بن إبراهيم"[3] وقوله:" كنت أتبع ما أملاه علي سي سليمان بن إبراهيم"[4], فهذه الصورة التي رسمها الكاتب عن طريق السرد تبرز أنه كان ذو حكمة ورزانة وعقـــل راجح، وكان مساعدا للبطل لأنه كان يطبق ما يمليه عليه دون مناقشة.

---

[1] – نفسه، ص 153 ، 154.

[2] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 29 .

[3] – نفسه ، ص 62.

[4] – نفسه، ص 37.

1-9- إتيـــــــــان ديـــــــني:

هو المستشرق الفرنسي والفنان التشكيلي الذي كان من بين المـــولعين بســـحر جمـــال الطبيعة البوسعادية والمرأة النايلية، وهذا ما جعله يستقر فيها، وقد ظهر لنا ذلـــك عـــن طريق السرد بقوله: " رغم أنه كان يغادر بين الحين والآخر إلى بلده إلا أنه كان يعود عجلا إلى هنا... وقد قرر منذ خمس سنوات تقريبا أن يستقر هنا دون نية في العـــودة إلى هناك"[1]

وقد صور لنا الكاتب محمد الأمين بن ربيع من خلال العودة إلـــى ماضـــي البطلـــين، شخصية إتيان ديني لإعطائنا أكبر قدر من المعلومات عن تلك الفترة، وكذلك لإبـــراز جانب من جوانب شخصية أدريان مورياك, لأن كلاهما استهوته مدينة بوســـعادة لمـــا تزخر به من مناظر خلابة وعادات وتقاليد، وكذلك الحرية والطمأنينة ، وفي موضـــع آخر من السرد يقول: " استغل فرصة انشغال أدريان مع دينيه وهـــي تعـــرض عليـــه مجموعة صورها، مبديا رأيه فيها، وعارضا عليها أن تسمح له بـــأن يرســـم بعضـــها بخاصة تلك التي التقطتها في رحلتها لرؤية الأسود..." [2]

فرغم أن كلاهما أعلنا إسلامهما، وتركا مسيحيتهما إلا أن ناصر الدين ديني أصبح وفيا لمدينة بوسعادة إلى أن توفي بها، أما أدريان فقد واصلت تمردها بالبحث عن الحريـــة رغم اعتناقها الإسلام وذلك عن طريق السرد بقوله: " وتكلم دينيه بدوره وشرح لها أنه فعل الشيء ذاته حين أعلن إسلامه، لكنها كانت تهز رأسها رافضة أي شكل من أشكال التنازل الموثّق"[3]

---

[1] – نفسه، ص 37.

[2] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 170.

[3] – نفسه، ص 172.

2- رسم الشخصيات عن طريق الحوار:

يعتبر الحوار إحدى التقنيات التي يستخدمها الروائي في رسم شخصياته، وقد يعمد من وراء ذلك في محاولته التغلغل إلى أعماق شخصياته، لينقـــل إلـــى القـــارئ أفكارهـــا وشعورها، وما يجول في خاطرها، أي رسم الشخصية لكي تبدو أكثر حضـــورا كمـــا يساهم في تصوير مواقف معينة من الرواية، إضافة إلى إضفاء الواقعية على المعمـــار الروائي فالحوار" يتمم أحداث الرواية وله عدة وظائف على مستوى السرد الروائي، إذ يتمم السرد، ويضفي جمالية خاصة على الخطاب السردي، ويسهم في بنية لغته، ويمكن الشخصية المتحاورة من التعبير على إحساسها ومشاعرها ورغباتها دون اللجوء إلـــى تدخل السارد".[1]

2-1- نـــائـــــــــل بن ســـالـــــــــم :

هو الشخصية الرئيسية والمحورية التي تدور حولها الأحداث، وهي نامية ومتطـــورة، فهي تلك الشخصية الغامضة التي تأتي بما يفاجئنا شرط إقناعنا فهي تنمو تدريجيا مـــع تقدم الأحداث في النص.

ويظهر لنا أول حوار لنائل مع أمه حين ولجت أدريان موریاك كوخهم، هـــذا الولـــوج الذي غير مجرى حياة الأفراد بقوله:

- " قالت أمي بشيء من التوجس الواضح:
- من هي :

في قاموسنا هذا السؤال مغيب إلا في الحالات النادرة، فأنا لم أتعود على سماعه مطلقا منذ بدأت أخزن في ذاكرتي جموع الناس الذين مروا من هذا البيت من معارفنا ومـــن غيرهم،...

---

[1] – ينظر، زاوي أحمد، بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، كلية الآداب، اللغة والفنون،2015/2014، ص 98.

- إنها.....

لم يكن بإمكاني إيجاد العبارة اللائقة؛ ضائعة، متشردة، متجولة، مستكشفة، هاربـــة،... أي الصفات كان علي أن أختار لألحقها بأدريان؟ نظرات أمي كانت تـــنم عـــن ريبـــة تجاهها، حاولت الوصول إلى أفكارها، ولكن بدت لي أمي مختلفة عن تلك المرأة التـــي كنت أعرفها، أحسست بجدية الموقف وجسامته، لم تكن لدي أدنى فرصة للمناورة فقـــد كنت ضعيفا أمامها إلى درجة الانفضاح، قلت بنبرة المستسلم.

- إنها هاربة من زوجها "[1]

يبرز لنا هذا الحوار بين نائل وأمه وحدة الحدث والموقف؛ حيث يعتبر هـــذا الحـــوار عاملا أساسيا في دفع العناصر السردية إلى الأمام إذ يرتبط بوجوده بالبنـــاء الـــداخلي للعمل الروائي معطيا له تماسكا ومرونة واستمرارية.

فقد صور لنا هذا المشهد الحواري بؤرة الحدث وأبان عن موقف الأم من هذه المـــرأة الفرنسية الغريبة، طبعا هذا شيء جلي لأنه يتنافى مع القيم والمبادئ التي يتمسك بهـــا المجتمع الجزائري، كما تجلت لنا العلاقة بين الأم وابنها في الإحترام، وأنه مهما كبـــر فإن دور الأسرة في تنشئته يبقى ملازما له.

أما نائل من خلال هذا الحوار اكتشف أن ما أقدم عليه ليس بالتصرف الهين.

ثم يصف دهشة الأم بقوله:

- " دام الصمت لبرهة خلتها دهرا، ثم قالت:
- هل هي رومية؟
- نعم
- فهمت مبدئيا أن أمي سوف تخفف من توترها بعد أن علمت أنها ليست مسلمة حتى نعتبر هروبها خزيا، قلت مستغلا هدوءها:

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص8– 9.

- لقد هربت من زوجها الرومي لأنها تبحث عن حياة جديدة، لقد أعجبتها حياتنا، كان من الصعب علي أن أقول لها هربت لأجلي". [1]

من خلال هذا الحوار يكشف لنا السارد عن هوية أدريان موریاك للتخفيف مـــن حـــدة التوتر الذي كان ينتاب الأم، فبعد علمها بأنها غير مسلمة لم تستغرب من تصـــرفاتها، كما يكشف لنا أيضا عن الهدف الأساسي وراء هروبها الذي يتمثل في البحث عن حياة جديدة، هذه الحياة التي وجدتها عند نائل بن سالم بطل الرواية.

وفي حواره مع أمه التي لم ترتح لمبيت الفرنسية عندهم وبلهجتها البوســـعادية عبـــرت عن رأيها عن هذا الموقف وكشفت شعورها :

- " كي صبِّحْتِ " أُمَّا" ؟
- بخير من ربي يا وليدي، بصح ما تهنينا بنومنا، الرومية باتت دايرة فينا حالة...
- لم أفهم ما الذي تعنيه أمي بكلامها، ما الذي فعلته أدريان يا ترى، توجهـــت إليهـــا بالسؤال:
- يا بني ما والفناش يباتوا عندنا الروميات " [2]

يتجلى لنا من خلال هذا الحوار تعدد مستويات اللغة الحوارية عنـــد الروائـــي محمـــد الأمين بن ربيع؛ وذلك من خلال لغة الأم التي تدل على أصالتها حيث تكشف لنا عـــن اللغة العامية الدارجة التي تنبع من بيئة المجتمع البوسعادي؛ لأن المكان يلعب دورا في تحديد هوية الشخصيات, وهذا ما نجده عند إبراهيم خليل في كتابه بنية النص الروائـــي بقوله: "للمكان أثر في التعبير عن هوية الكاتب الروائي والشخوص؛ فالحياة الإنســـانية خلاصة الظروف والبيئة المحيطة، والتاريخ والعادات والتقاليد والأعراف"[3]

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص9– 10.

[2] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 12.

[3] – ينظر، إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، ص 141.

كما نجد الحوار الذي دار بينه وبين صديقه عمر عن الكيفية التي يمكنه مغادرة المحل بها في قوله:

– "إذا أردت الإنصراف من العمل فكيف ستطلب الإذن من بلقندوز؟

– الله يْصَبَحِكْ بالربح، هل هذا حديث تقابلني به منذ الصباح؟ خلينا نصَّبْحُو؟"[1]

هذا الحوار يصور لنا المستوى الثقافي لصديقة عمر، وكذلك تمسكه بلغته لتصل هـــذه الشخصية للقارئ كما هي.

فاللغة بنية مهمة تتشكل بها كل معطيات الخطاب الروائي، وتبرز جمالياتها المختلفـــة، كما أن الحوار يعتبر وسيلة مهمة للكشف عن آراء الشخصيات وإبراز مواقفها، وتتمـــة أحداثها.

ورغم توظيف محمد الأمين بن ربيع للغة العامية في الرواية عن طريق الحـــوار، إلا أنها أضفت على الرواية جمالا ودقة في التعرف على بيئـــة الكاتـــب، لأنهـــا اللهجـــة المتبادلة بين سكان مدينة بوسعادة وكذلك دلالة على وجود شخصـــيات غيـــر متعلمـــة وغير مثقفة لأنها تصور لنا مدينة بوسعادة، أثناء الاستعمار الفرنسي أي أثناء الفقـــر و الجهل و...

2-2- أدريان موریاك:

تنفتح عوالم الرواية بأحداثها حينما تحركت في مكانها، بعد ولوجها أسرة نائـــل، تلـــك الأسرة البسيطة التي تعيش حياة هادئة، اقتحامها لنائل بقوة حينما بدأ يسرد لنا الحوار: " تحركت في مكانها، دون نية في القيام أو تغيير وضعية جلوسها، كل شيء من حولنا كان يوحي باحتمال وقوع حدث جلل، الصمت، النور الخافت، خريـــر ميـــاه الـــوادي، أنفاس أفراد عائلتي، ونبضات قلبي... واصلتْ:

– لم يعد بإمكاني العيش كالخنزيرة، تحت سلطة ذلك الأحمق المقامر.

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 16،17.

- .....
- أعلم أني أشكل لك الآن هاجسا، ولكن ما عساي أفعل؟ قدري رماني إليك.
- لا يمكنني الإختيار، يعجبني ذلك.

كانت تتحدث دون انقطاع منذ دخلنا إلى البيت، تسأل وتجيب بنفسها، لـــم تفســـح لـــي المجال حتى لأقول لها أن القدر الذي رماها أمامي قد تنبأت لي به نانّا الضاّوية يوما...

- يبدو أن أهلك غير مسرورين بمقدمي، قل لي رجاءا هل أشكل عليك عبئا؟ إن قلت نعم فسوف أنصرف من فوري.
- لا لا ، أهلي ... أنت لم تدعي لي فرصة لأخبرك بشأنهم، والدي وأختاي عويشـــة والغزال صم بكم، أما أمي فهي متفاجئة لا أكثر، لم تتعود على رؤية ضـــيف مـــن طرازك في كوخنا"[1]

ويستمر الحوار هنا بقوله:

- أدريان سوف أرى أمي وأعود فورا.
- هل هي غاضبة؟
- ... لا تقلقي " [2]

من خلال هذا الحوار ينطلق الحدث المحوري في الرواية، وتبدأ الأحداث بالترابط حين يكشف لنا عن الانفعال الذي تعيشه البطلة حين ولجت منزل نائل فيصف لنا حركتهـــا ووضعية جلوسها، الصمت، النور الخافت، صوت مياه الوادي، دهشة أفراد الأســـرة، نبضات قلبه الإيمان بالقضاء والقدر لكليهما هذه الفرنسية التي جاءت بحثا عن الحريـــة والأمان والطمأنينة، هروبا من زوجها ومن حياتها السابقة أي ماضيها الذي لـــم تعـــد باستطاعتها مواصلة حياتها فيه كالخنزيرة.

---

(1) - محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 7, 8.

(2) – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري، ص 8.

ورغم أنها تعلم بأن ما أقدمت عليه يسبب للطرف الثاني قلقا، وخوفا بحكـــم العـــادات والتقاليد التي تبقى الأسرة الجزائرية متمسكة بها، لكنـــه يحـــاول طمأنتهـــا وتهـــدئتها ويمنحها الأمان، ومن هنا يصور حالتها النفسية وما يدور فـــي خاطرهـــا فـــي كيفيـــة محاولة التخلص من ماضيها.

فالحوار"Dialogue" يقرب الشخصية من القارئ لكي يعرف ما يتغلغل في أعماقهـــا، "هو جزء هام من النسيج، ووظيفة الحوار قد تكون الاسهام في تطوير الحدث، ولكـــن دوره الأساسي تقديم الشخصيات بطريقة تمثيلية، فهو يكشف عن دواخلهم وعن طرائق تفكيرهم، ومستواهم الثقافي والاجتماعي إلى جانب أنه يمنح القصة جانبا دراميا لأنـــه يمسرح حوادثها في اللغة"[1]

ونجد ذلك في الحوار الذي جمع بين "أدريان ونائل" في محل غطس الصوف ليكشـــف كل طرف عن ما يدور في داخله:

- قلت أنا :
- نحاول محاكاة ما تخلقه الشمس من ألوان في بلدتنا، ونصبغ به هذه الخيوط .
- اختزلت لحظتها كل النقاط المشتركة بيننا، وكشفت لها الحجاب عن الـــذي جـــاءت على شك منها تبحث عنه هنا، قالت:
- لقد أجبت عن سؤال يسكن داخلي منذ مدة طويلة، لابد أن الإنسان يطمـــح لتوطيـــد علاقته بالطبيعة التي ينتمي إليها دائما، لكم تمنيت أن أنتمي إلى هذا المكان."[2]

ثم يواصل قائلا: " فجأة اختفى الجميع من المحل وبقيت معها لوحدنا وقلت لهـــا دون كلام: حبك لم يُبْقِ ولم يذر... مادت الأرض بنا، فاستوى العشق على عرش القلب"[3]

---

(1) – حسني محمود وآخرون، فنون النثر العربي الحديث(1)، منشورات جامعة القدس المفتوحة, ط1، 1995، ص 46.

(2)– محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري, ص 42.

(3) – نفسه, ص 42.

يبدو هذا الحوار دقيقا في وصف نائل لشعوره وذلك عن طريق الصمت فكثيرا ما يعبر الفرد عن شعوره دون كلام فهذا الحوار؛ هو بوح بما يختلج البطلين من مشاعر .

و في قولها أيضا:

- " ماذا لو قلت لك أنني قد قطعت هذه المسافة الشاسعة لهدف واحد؟ هل يمكنـــك أن تعرفه؟ سألتْ:
- وما يدريني بأهدافكم.... أجبتُ.
- أستفزها بلا مبالاتي حتى تنفعل وتتورد خدودها، أحبها عندما تنفعل، انفعالها يظهر قسمات مخفية في وجهها ما كانت لتبدو لولا غضبها الجميل، أتدارك حتى لا أبـــدو كمغفل:
- أعلم جيدا هدفك، وسأحققه معك، لكن لابد أولا من رسم خطة لذلك"[1]

فقد رسم لنا محمد الأمين بن ربيع من خلال هذا الحوار الحالة النفسية لكلا البطلين منذ اللقاء الأول، فنائل هو صورة لكل من تستهويه حياة الغرب بمظاهرهـــا لا بحقيقتهـــا, ومن هنا تنفتح الرواية بأحداثها، كما نجد وصفا لجمالها في حالة انفعالها.

ومن الشخصيات الثانوية التي رسمت عن طريق الحوار أيضا حينما كانـــت أدريـــان تسرد لنا حكايتها من على متن الباخرة.

2-3- شخصية ستيفاني:

هي تلك المرأة الفرنسية التي أثرت في وقائع حياة " أدريان" رغم حضورها القليل على صفحات الرواية فهي شخصية ثانوية "تضيء الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية تكون إما عوامل كشف عن الشخصية المركزية وتعديل لسلوكها، وإما تابعة لها تـــدور فـــي فلكها وتكشف عن أبعادها"[2]

---

[1] – نفسه، ص 43.

[2] – صبحية عودة زعرب، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ص 132.

وقد رسم لنا محمد الأمين بن ربيع شخصية المرأة الفرنسية المثقفة عن طريق الحـــوار بقول أدريان: " تعرفت على ستيفاني ظهر اليوم الثاني، كانت أول شخص أكلمه منـــذ صعودي على متن الباخرة، رأيتها تحمل كتابا، لأول مرة منذ صـــعدنا أرى شخصـــا يحمل كتابا، أغلب الموجودين هنا ما كانوا يمتون للأدب أو العلم بصلة، أغلبهم فارون من القانون، أو من التهديد بالقتل أو من الديون، أو مشردون يبحثـــون عـــن قصـــور أحلامهم على الأرض الجديدة، أما المثقفون فلم أرى منهم إلا ستيفاني حينها وجلســـت إلى جوارها، ابتسمت، عيناها تبدوان من تحت النظارة بلون البحر تماما، قلت:

- الجو جميل اليوم، إذا بقي الحال هكذا أعتقد أنني لن أستطيع مفارقة البحر إطلاقا.
- ضحكت بصوت عال ثم قالت:
- لابد أنك لم تري البحر من قبل، أو أنك متعلقة به حد الهوس.

لم أدر بما أجيبها، فقد كانت تبدو من النوع الذي يستحي الإنســـان أن يكشـــف أمامـــه نقصه، لذا حاولت تغيير مجرى الحديث إلى الكتاب الذي بين يديها وقبـــل أن أســـألها حاولت تذكر آخر كتاب قرأته، فقد مضى علي زمن لم أحمل خلاله أي صحيفة، Les météores locomotives des belles esclaves, de chihabe el-Hidjazi الكنس الجواري في الحسان الجواري لشهاب الحجازي[1]

" قلت:

- ماذا تقرئين؟ هل هو كتاب عن الشرق؟
- نعم صحيح، حيثما يكون العشق والشمس أحب أن أتواجد، حتى وإن كانا على دفتي كتاب، إنه كتاب جميل عن النساء العربيات، أقرأه لعلي أجد نفسي في صنف مـــن بينهن.
- ولم قد تتشبهين بهن؟ ألسنا أفضل؟

(1) – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص93– 94.

- أي فضل؟ المسألة تتعلق بنمط حياة، أريد أن أعيش حياتي بنمط جديـــد، أو علـــى الأقل أجرب نمطا مغايرا للنمط الذي لا طعم له"[1].

وقد صور لنا الكاتب محمد الأمين بن ربيع شخصية المرأة الفرنسية المثقفة، باعتبارها مولعة بسحر الشرق، باحثة عن العشق والشمس التي ترمز للحرية حتى وإن كانت بين أسطر كتيب، وإعجابها بالمرأة العربية التي تمنت أن تكون مثلها، فهذا الحوار يكشـــف عن موقف كل من ستيفاني وأدريان عن طبيعة الحياة التي هربَا منها والبحث عن حياة جديدة, أظن أنهما وجداها في الجزائر التي تعتبر بالنسبة إليهما الجنة الموعودة.

3- رسم الشخصيات عن طريق الحوار الداخلي:

يستخدم الروائي تقنية الحوار الداخلي (المونولوج) في رسم شخصياته، وذلك للكشـــف عن ما يدور داخل ذهن هذه الشخصيات، والحوار الداخلي هو محاورة الفرد لنفسه في صمت وله دور هام في إعطاء جمالية السرد، وهذا ما تطرق له الكاتب إبراهيم خليـــل في كتابه" بنية النص الروائي": " فإن حديث الشخصية مع ذاتها يغني الســـرد، ويلقـــي الضوء على العالم الداخلي للأشخاص، ويقرب المســـافة بـــين الشخصـــية والمتلقـــي، ويشركه في الجو العاطفي والنفسي المتوتر الذي تعيشه"[2]

والحوار الداخلي أحد تقنيات الأسلوب الاستبطاني ويستخدمه الراوي نتيجة معرفته لما تفكر به الشخصية وكأنه صراع بينها وبين ذاتها, وهذا ما نجده في روايـــة قـــدس الله سري حيث رسم لنا الروائي محمد الأمين بن ربيع بطلا الرواية "نائل وأدريـــان" فـــي بعض المواقف منها.

---

[1] – نفسه, ص 95.

[2] – إبراهيم خليل، بنية النص الروائي ، ص 261.

3-1- نائل بن سالم:

يتجلى لنا الحوار الداخلي في قول نائل حينما اختلطت عليه الأمور ودخل في صـــراع مع نفسه" ربما لم أنم تلك الليلة، بتّ أرتب أفكاري لحياتي القادمة، حياتي التي رســـمت أدريان مخططها ونحن نسير من فندق الصحراء إلى بيتنا الموجود في وادي بوسعادة، كنت ولأول مرة أسير وأتعثر على تلك الصخور، وكنت أرفع بصري إلى جبل كردادة ولا أراه كما تعودت، مهيبا وساحرا بلونه الأمغر المتحول، وكنت أمر بأمـــاكن ألفتهـــا وألفتني ولكن لا أكاد أميز أيا منها، شيء غريب كان يغطي على واقعي فيحولـــه إلـــى شيء كالسراب... هل كنت سعيدا؟ هل سأسعد في حياتي كما رسمت لي ذلك أدريان؟ هل يوجد مكان في هذا العالم بإمكانه أن يستوعب حماقة أقترفت على حين نزوة؟ هذه الأسئلة كانت تدور في رأسي الليل بطوله، لذا لم أنم، كنت مســـتلق علـــى المســـطبة الحجرية بالقرب من باب منزلنا وأنا أنظر إلى أشجار المشمش والتين وقد بسط عليهـــا القمر نوره فبدت فضية ممعنة في التغنج، تقلبت كثيرا وتنهدت كثيرا، ثم سلمت نفســـي لإغفاءة سببها لي الإرهاق"[1]

" فالحوار أداة طيعة في رسم الشخصيات والكشف عن طبيعتها وموقفها فضـــلا عـــن الأحداث وتطويرها"[2]

يبدو أن الكاتب محمد الأمين بن ربيع من خلال هذا الحوار الداخلي يكشف لنـــا عـــن الصراع الذي يعيشه البطل بينه وبين ذاته منذ ولوج أدريان موريـــاك حياتـــه و حيـــاة عائلته، فهو يعيش حالة من التوتر والقلق، فهذا ما جعله يتحدث مع نفسه وهـــل هـــذا التصرف نهايته السعادة كما رسمت له ذلك أدريان أم لا وكأنه يبحث عـــن الإجابـــة،

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 11 .

[2] – بسام خلف سليمان، الحوار في رواية الإعصار والمئذنة لعماد الدين خليل– دراسة تحليلية– المجلد7، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 13 ، 2013م، ص 4.

وهذا ما أتاح للكاتب رسم الموقف، وتصوير الحياة، كما تتصورها الشخصية من خلال عالمها الشعوري واللاشعوري، وقد ربط وصفه بوصف الطبيعة.

وفي موضع آخر أيضا من الحوار الداخلي يقول "أمران لا ثالث لهما كنت طول تلـك الدقائق التي سبقت التحاق عمر بالمحل أفكر فيهما، الأول هو كيـف يمكـن لـي أن أغادر؟ والثاني ما عساها أدريان تفعل الآن في البيت وسط أمي وأختـي؟ وقـد كـان السؤال الأول يرهقني كثيرا لدرجة عجزت معها عن الوصول إلى الطريقـة المثلـى لطلب إذن المغادرة..."[1].

يظهر لنا الكاتب هنا حيرة نائل عن كيفية المغادرة من محل الصباغة الذي يعمل فيـه؛ وذلك لأنه يتميز بالانضباط كون صاحب المحل ذا سلطة ونفوذ والأمر الثاني هو بقـاء أدريان مع أفراد أسرته رغم أنها لا تعرف عنهم شيئا ولم تتأقلم معهم وهذا مـا كـان يسبب له قلقا وازعاجا.

فالحوار الداخلي يشكل في الرواية أهم مكوناتهـا السـردية، لأنـه يمثـل أصـوات الشخصيات بما فيها السارد، وله عدة وظائف مختلفة على مسـتوى السـرد الروائـي أهمها كشف خبايا ذات الشخصية، والتصريح بما ينتابها من هواجس ووساوس، وأفكار مدفونة لا يمكن أن تصرح بها إلا في لحظة معينة، وهذا ما نجده في قول نائـل" هـل كان علي أن أشفق عليها؟ بعض الكلام الذي كانت تقوله، ادعيت عدم سـماعه فكنـت أصم أذني، أدندن بأغنية أو استغفر الله، هل كنت أستغفر لـذنوبها؟ لا أدري إن كـان علي الإحساس بالشفقة أم القرف؟ فأمسكها من ذراعها، وأجرها على حصـى الـوادي حتى تفْرَم على نتوءاته وتأكل لحمها الكلاب، انتقاما لشرف أنوي أن أتدثر بـه معهـا،

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 16 .

لكن مع ذلك كانت تبدو بريئة، اقترفت الوزر لأن الوزر وجد ليقترف، وليوجـــد مـــن يسامح عليه ويتجاوزه، ولهذا سمى الله نفسه الغفور الرحيم"[1]

فهذا الحوار الداخلي جاء على لسان السارد من خلال ضمير المتكلم " أنا" حيث كـــان يعيش في متاهة، لأنه أحس بخيبة أمل وغضب حاد اتجاه من اعتبرها مصدر سعادته، وقوة شخصيته، هل يشفق عليها أم ينتقم منها أم يسامحها أليس الله يغفر الذنوب لعباده.

و المونولوج عند الفرنسيين " حديث النفس للنفس، وهو مصطلح دخيل، جيء به مـــن قول أحد الأدباء الفرنسيين، إدوارد دي جردان Edouard dujardan" [2]

" جلست في ظلها، رحت أعد الأحداث التي عشتها في الأيام الأخيرة، طفقت إلى ذهني فجأة، وتتالت عليه كسيل الوادي أيام المواسم، وكما لا يمكن أن نتحكم في السيل، فتقف على حافة الوادي نرقبه برهبة وإجلال، استعصت علي أفكـــاري، فلـــم أتمكـــن مـــن تنظيمها، ورحت أطاوعها، أرتفع حين ترفعني، وأهوى حين تلقيني"[3]

يعتبر هذا الحوار الداخلي بمثابة لحظة الندم التي بدأت تراوده، عـــن طريـــق تـــذكر الأحداث التي مر بها خلال الأيام السابقة، حيث أفاق من حلمه وبدأت تنجلـــي أمامـــه الصورة الحقيقية التي كان يكتشفها من زاوية أخرى غير الزاوية التي هي في واقعـــه الآن.

ومن أمثلة المونولوج أيضا ما نجده عند البطلة أدريان مورياك حينما وصفها زوجهـــا بالعاهرة في قولها:" ردَّدْتُ عبارته، في حين كان هنالك صوت داخلي يـــردد عبـــارة أخرى : (العاهرة الصغيرة) "[4]، معنى ذلك أنها كانت تحس بمرارة تلك العبارة لأنها كانت تظن بأنه اختارها زوجة له ولكنه تزوج منها للثأر من أخيه.

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 134 .

[2] – ينظر: عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 179.

[3] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 166 .

[4] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 75 .

فهذا الحوار الداخلي كشف لنا عن الألم الذي تجرعته من خلال هذه العبـــارة، وفـــي قولها أيضا : " أغمضت عيني، حاولت النوم، لكن تساؤلات كانت تدور فـــي رأســـي حرمتني إياه.... هل كان علي أن أتحمل فيليب ومغامراته غير محسوبة العواقـــب؟ ألا يحق لي العيش كامرأة محترمة؟ طبعا لم أكن أملك إجابة لذلك، لأنني لم أكن أملك حلا يخرجني مما أنا فيه..." [1] تبوح البطلة هنا عن حلمها في العيش كـــامرأة محترمـــة فمنذ ولوجها هذا العالم وهي في معاناة؛ لأنها مستغلة من طرف كل من صادفتهم فـــي حياتها هذا ما جعلها تبحث عن حل للعيش في حرية وأمان.

وفي قولها : " لم يكن من عاداته الاستيقاظ باكرا، أم تراه لم ينم هنا؟ بيني وبين نفســـي تمنيت أن يكون قد مات، أو سجن، أو ذهب إلى حيث لا يمكنه العودة مطلقا"[2]

تلك المعاناة التي سببها لها زوجها جعلتها تتمنى أن تنتقم منه بأي طريقة وتكشف عـــن أفكارها التي تراودها، وهذا ما انعكس على سلوكها وتصرفاتها.

وفي مقطع سردي آخر، قالت أدريان:"..... ثم التفت إلي نذير، أتراه يكـــون عشـــيقي الذي راودني في الحلم لا ... ليس من الممكن أن يكون كذلك، ولا يخفق له قلبي مـــن الوهلة الأولى التي تعلق فيها نظري بعباءته، ولاحظت عرض منكبيه ولم لا يكون هو؟ ألا يستحق أن يعشق؟ على الأقل هو لم يبد لي اشتهاءه، فقد كان يغضي، حيـــاء ربمـــا كان يفعل"[3]

لقد رسم محمد الأمين بن ربيع شخصيات روايته "قدس الله سري" باستخدام الطـــريقتين المباشرة وغير المباشرة، كما استعمل الأســـاليب الـــثلاث التصـــويرية والاســـتنباطية والتقريرية، كما استعمل تقنية إعطاء الحرية لبطلي الرواية رسم الشخصيات المتعلقـــة

---

[1] – نفسه، ص 79 .

[2] – نفسه، ص88.

[3] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص121– 122 .

بهما، وذلك من خلال العودة إلى ماضيهما عن طريق السرد بنظرتهما هما، كما شاهدا الأحداث وعايشاها، وبذلك تكون الشخصية الروائية الناطق الرسمي على لسان الكاتب. ورسم الشخصيات كان مزج بين السرد والحوار والحـــوار الـــداخلي لأن كـــل هـــذه الأساليب تلعب دورا بارزا في الكشف عن جوانب الشخصيات. وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثالث المعنون بـــ: أبعاد رسم الشخصيات في رواية قدس الله سري.

ثالثا: علاقة الشخصية بالمكونات السردية الأخرى:

تعد الشخصية والحبكة والزمان والحوار نقاط الإرتكـــاز التـــي تتمحـــور حولهـــا الأحداث, وتتفاعل لتحدث في نفس القارىء نوعا من الإثارة والتشويق بالإضافة إلـــى الأسلوب.

1. علاقة الشخصية بالحدث:

تساهم الشخصية بشكل كبير في تطوير وتنامي أحداث الرواية, وهذا ما يجعل منها مكونا من المكونات الأساسية للحدث, لأن أهم أداة يستخدمها الروائي لتصوير الأحداث بطريقة جيدة هي اختياره للشخصيات.

ويعد الحدث في الرواية بمثابة العمود الفقري الذي تقوم عليه بنيتها, فالروائي ينتقي بعناية وباحترافية فنية الأحداث الواقعية أو الخيالية التي يشكل بها نصه الروائي, فهـــو يحذف ويضيف من مخزونه الثقافي ومن خياله الفني ما يجعل من الحـــدث الروائـــي مميزا مختلفا عن الوقائع.....

"أن الحدث ليس منفصلا بأيّ حال من الأحوال عن الشخصية, فالحدث هـــو تصـــوير الشخصية وهي تعمل عملا متكاملا يتمتع بالوحدة."[1]

[1] – حسني محمود وآخرون, فنون النثر العربي الحديث (1), ص125.

2- علاقة الشخصية بالمكان:

يعد المكان أهم عنصر في بناء العمل الروائي, لأنه الفضـــاء الـــذي تتحـــرك فيـــه الشخصيات, وهو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل الرواية المتخيلـــة شـــبيهة بالروايـــة الواقعية, فالمكان له صلة وثيقة بالشخصيات الروائية, لأنه يلعب دورا مهما في خلـــق وحدة الرواية, ونظامها الداخلي. وهذا ما نحده في قوله: "مساء بوسعادة كان ســـاحرا, استقبلنا بتموجات ألوانه المشتقة من الأحمر بكل تدرجاته, كان هذا اللون أول ما فتحت عليه عينيّ"[1].

ويكمن دور المكان في "تلوين الأحداث وإظهار مشاعر الشخوص والمساعدة علـــى فهمها"[2], وهذا ما وجدناه في رواية قدس الله سري لأن انتقال البطل من مكان إلى آخر يهيء القارئ لأحداث جديدة, فالمكان الجميل يوحي بالسعادة, والمكان الكئيـــب يـــوحي بالحزن "المدينة التي تحتضنها الجبال مدينة متدللة, عذراء تحاول أن تبقى كذلك ليبقـــى سحرها, وتدوم فتنتها.....المدينة التي تحتضنها الجبال مدينة تحمل من الأسرار ما قد يهد الجبال, لأن المحاطين بالجبال يفعلون ما يشاؤون....المحاطون بالجبـــال يقتلـــون الرقيب ذا النفس, وحدها الجبال ترقبهم.....المدينة... التي تنام فـــي حضـــن الجبـــال مملوءة بالشبق, فذلك الحضن يبعث في النفس ارتياحا غريبا, يحيي فـــي الـــنفس حـــرّ النفس....هذه المدينة مرتع للعشاق"[3].

يعد الكاتب محمد الأمين بن ربيع مولعا وشغوفا بحب مدينته" بوسعادة" وهـــذا مـــا لاحظناه من خلال قراءتنا للرواية عن طريق الوصف الرائع لجبالها؛ فقد تستر الكاتب

---

(1) – محمد الأمين بن ربيع,قدس الله سري, ص 120.

(2) – عبد القادر أبو شريفة وآخرون, مدخل إلى تحليل النص الأدبي, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, دمشق, سورية, ط 3, 2000, ص38.

(3)– محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 121.

وراء عباءة الراوي, وذلك لأن المؤثر الأول الداخلي والخارجي الذي ساهم فـــي بنـــاء الرواية, هو الجبال الموجودة في المدينة.

وفي أحد لقاءات الكاتب قال بأن هذه الجبال هي التي جعلته يفكر في هذه الروايـــة, وبذلك فهي رواية المشاهدات لأن القارئ يحس بمتعة شيقة عند قراءتها, لأنه يشاهدها لا يقرأها فهي مشهد بوسعادي, وقد وصف ألوانها التي شدته لأنها مليئة بالحياة وتدعو إلى السعادة والفرح, بالإضافة إلى أنها مكان استقرار المجاهدين والثوار سابقا.

إن تيمة الجبال المتكررة في الرواية لهي واقع حقيقي ينبع من ذات الكاتب محمـــد الأمين بن ربيع. وبذلك فإن للمكان علاقة وطيدة مع الشخصية والتأثير فـــي ســـلوكها وأفكارها.

وفي خلاصة القول أن الفضاء المكاني ضروري لأنه "يساهم في خلق المعنـــى داخـــل الرواية"[1]. وبذلك فالمكان أكبر مدافع عن الهوية.

3- علاقة الشخصية بالزمان:

تشير رواية " قدس الله سري" لمحمد الأمين بن ربيع للزمن بأبعاده الثلاث زمن وقـــوع الأحداث, زمن توقيت الحدث, زمن مدة الحدث, فالزمن له تأثير قوي فـــي الشخصـــية يعمل على تحريكها واندفاعها, وهذا ما نجده في قول سيزا قاسم في كتابه بناء الرواية "بأن شكل الشخصية يتم عبر الزمن, أي أن كل ما يحدث في الرواية من داخلها وفـــي

(1)– حميد لحمداني, بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي), المركز الثقافي العربي للطباعة, بيروت, لبنان, الدار البيضاء, المغرب , ط3, 2000, ص 131.

خارجها يتم عبر الزمن ومن خلاله"[1], " فالزمن الذي يمنحه الراوي لشخصياته ينعكس على تصرفاتها"[2].

ومعنى ذلك أن الزمن ذو أهمية حيث يؤثر في بقية العناصر و ينعكس عليها, "ذات يوم صيفي قريب إلى اعتدال الربيع حل ببوسعادة"[3] وقوله: " كان ذلك عام 1894"[4] والزمن في رواية قدس الله سري يجعل الشخصية تنمو وتتطور, فقد ربطه بوجود الاســـتعمار الفرنسي, أما زمن القصة فقد دام ثمانية أيام لا أكثر.

ومن هنا يمكن القول أن علاقة الشخصية بالمكونات السردية الأخرى هي علاقة تـــأثر وتأثير ولا يمكن الاستغناء على أي مكون من المكونات.

(1) – سيزا قاسم القصراوي, الزمن في الرواية العربية, دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ, الدهشة المصرية العامة للكتاب والنشر والتوزيع, القاهرة, 1984, ص 38.

(2) – مها حسن القصراوي, الزمن في الرواية العربية, دار فارس للنشر والتوزيع, لبنان, ط1, 2004, ص150.

(3) – محمد الأمين قدس الله سري, ص150.

(4) – نفسه, ص150.

- الفصل الثالث -

أبعاد رسم الشخصيات في رواية "قدس الله سري"

أولا- البعد الخارجي الجسمي

ثانيا- البعد النفسي

ثالثا- البعد الاجتماعي

أبعـــــــــاد رسم الشخصيـــــــــات

تتداخل الأبعاد الثلاثة فيما بينها وهذا ما تنتج عنه علاقة التأثر والتـأثير, ومـن أهـم الوسائل الفنية التي يستطيع بها الكاتب أن يخلق شخصية حية أن يضع للشخصية اسما، ويوضح ملامحها الجسدية والنفسية، بدءا من تسجيل العمر الزمني الـذي قـد يكـون بتحديد السن أو وضعه على وجه التقريب شاب، فتاة، رجل امرأة، شيخ، عجـوز، أو تحديد ملامح الشخصية بملابسها أو طريقتها في الكلام أو تناول الطعام أو النوم و...., وأن يقدم الشخصية وهي تتحرك داخل عالمها القصصي، وتكون شخصية وفية لطبيعة النموذج الذي تعكس صورته في الواقع.

أولا: البعد الخارجي (الجسمي) :

"وهو وصف لشكل الإنسان وطوله أو قصره، حسنه ووسامته أو ذمامتـه، واسـتدارة وجهه واستطالته، وبروز أنفه وصغره، وطول عنقه أو قصره، وبدانته ونحافته، ولون بشرته أو خشونتها وعذوبة صوته أو قبحه، ونوع ثيابه وجدّتها أو رثتها وبين هـذا أو ذاك يكون أوساط الناس أجساما".[1]

1- شخصية نـــائـــل بن سالـــم :

على الرغم من أن شخصية نائل شخصية رئيسية، وأيضا شخصية نامية ومتطـورة إلا أن الكاتب لم يركز على بعده الخارجي ماعدا في قوله : " أدعى نائل بن سالم، ولـدت قبل سبع سنوات من العام الذي اجتاح فيه الطاعون مدينة بوسعادة".[2]

" عرفتها من النظرة الأولى التي رأيتها فيها، وكشفت لها بنظرة مني أنهـا هـي مـن انتظرت طول السنوات الخمس والعشرين التي قضيتها أشغل حيزا في هذا الوجود"[3]،

---

[1] – خليل رزق، تحولات الحبكة، دط، مؤسسة الأشراف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دت، ص 82.

[2] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 23.

[3] – نفسه، ص 41.

وهذه إشارة إلى أنه شاب في مقتبل العمر يرمز للشباب والحياة التي تزخر بالأمل والأماني, وفي موضع آخر من الوصف يبرز لنا حالته في غياب من كانت مصدر سعادته بقوله: "برزت عظام وجهي بشكل مفرط، ونبتت لحيتي، وبدأ بعض الشيب يتخلل شعر صدغي"[1]، وفي موضع آخر عن طريق السرد أيضا يقول: "كبرت خمسين سنة في غضون ذلك الأسبوع" [2]، فقد وصف لنا هنا الوجه ببروز عظامه دلالة على ضعفه، وكذلك شعر اللحية وكثافته إضافة إلى وصفه ظهور الشيب وهذه كلها صفات تدل على كبر السن بسبب حزنه.

وفي قوله: "ابتسم ووضع يده على كتفي الذي كانت عظامه الناتئة قد أصبح لها قرقعة كقرقعة الجرار الخاوية ".[3] وهنا يقدم لنا وصفا على هشاشة عظامه .

هذه الحالة المتدهورة التي جعلت منه شخصية كهل من خلال عزلته التي وضعته على شفا حفرة من الموت؛ وذلك لعدم رغبته في الحياة لأن فكرة الموت تزداد عنده يوما بعد يوم. ومن خلال هذا التحول تبدو لنا هذه الشخصية نامية ومتطورة بعدما استهوته أدريان ثم غدرت به وهذا دلالة على خيانة الآخر الفرنسي للأنا الجزائري.

2- شخصية أدريان موريـاك أو كما تسمى بـ شمس النهار

وهي الشخصية الرئيسية الثانية وهي منطلق السرد التي كان لها دور بارز في تحريك أحداث الرواية، واستطاع المؤلف أن يرسم أبعاد هذه الشخصية إلى حد كبير، وأضفى عليها صفات نفسية وجسدية وصور تحركاتها ومواقفها بما ينسجم والأهداف التي رسمها المؤلف لهذه المرأة بما يعبر عن أعماق هذه الشخصية.

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع ، قدس الله سري ، ص 191.

[2] – نفسه ، ص 191.

[3] – نفسه ، ص 193.

ويظهر لنا جليا منذ الوهلة الأولى عن طريق السرد جمال هذه المرأة، حيث رسم هــذه الشخصية بقوله: "طلبت من أدريان وأنا أهم بالمغادرة ألا تبرح البيت إلـــى أن أعــود كنت متأكدا أن زوجها سيبحث عنها ولن يمل إلى أن يجدها، فليس من السهل التفــريط في حورية كهذه".[1]

ومن خلال هذا نكتشف أنها كانت فائقة الجمال تشبه حورية من حوريات الجنة، تتميــز بأنوثة خاصة، ونجده في موضع آخر يصف بشرتها المشبهة بالوردة المتفتحة "وبشــرة أدريان التي تشبه لون نوار الدفلى ساعة إزهاره الأول كنت أحس بها ملتصقة بجلــدي الذي صار دبقا بسبب الصوف الموذخ"[2]. ومعنى ذلك أنها تتصــف ببشــرة صــافية وتتميز بتورد بشرتها وكأنها ترى النور لأول مرة.

وبأسلوب سردي دائما يصفها من خلال قول نائل أيضا: "قطعته أدريان عندما تحركت بثوبها الفضفاض في مكانها" [3]، وبذلك فهو يصف لباسها الفضفاض الذي يــدل علـــى هويتها كما يصف تحركاتها.

وفي قوله أيضا: "كأنما هي معلم شيد لتمجيد الجمال"، وقوله أيضا:"لم تفعــل أدريــان شيئا، ظلت جامدة لا تريم، تحدق فيّ بعينيها الخضراوين".[4]

من خلال هذه المقاطع السردية التي جاءت على لسان نائل بن سالم بطل الرواية الذي رسم من خلاله محمد الأمين بن ربيع الجانب الخارجي لهذه الفرنسية التي تمثل صورة فرنسا بجمال فاتن فقد وصفها بالمعلم الجمالي.

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 13.

[2] – نفسه، ص 34.

[3] – نفسه، ص 19.

[4] – نفسه، ص 66.

3- شخصيـــة نـــانـــّا الضّـــاويـــة:

هي إنسانة صالحة، من الأولياء الصالحين، حكاياتها لا تنتهـــي وقـــد رســـم الكاتـــب شخصيتها من خلال صورتين الأولى في الواقع والثانية في الخيال، وهـــي شخصـــية ثانوية ولكن تشغل حيزا كبيرا في كل حدث من أحداث الرواية. وهي من الشخصـــيات التي رسمت من طرف نائل بقوله: " قيل لي أن عمرها ممتد لاحد له، كل واحد يروي لأبنائه بأنه عاصر نانّا الضاوية، وأنا بدوري سأروي لأبنائي أنني قد عاصـــرت هـــذه المرأة طبعا هذا الحديث الذي أقوله عنها لم أسمعه من أي أحد وإنما سمعته من أمـــي التي أشهد الله بأني لم أسمعها في حياتي كلها تقول إلا الحق ".[1] وعن طريق الســـرد أيضا نجد وصفا عن مكانة نانّا الضاوية من خلال صوتها الـــذي يـــدل علـــى قوتهـــا ورهبتها في قوله: "سمعت صوتها كأنما هو قادم من مكان بعيد فـــي أعمـــاق نفســـي، صوت مجلجل مهيب ووقور ممتلئ بحجج الرهبة والتسليم، كذلك كان ذلـــك الصـــوت يخاطبني".[2]

وقوله: " كيف لي أن أسمعها كما سمعتها وهي قد تكون داخل غرفة الضريح الداخلية؟ ولم أملك إلا أن تقدمت خطوتين أخريين إلى الأمام، لأجدني قبالتها وجها لوجه جالســـة مجللة بالبياض، مستوية في جلستها، يحفها عبق أسطوري، تستند بظهرها إلى الضريح المغطى بالأخضر السندسي، والشموع مضاءة في كل أرجاء الغرفة "[3]، وعن طريـــق السرد أيضا: "كانت من حين لآخر تقطب حاجبيها وتضيق عينيها المكحـــولتين فيبـــدو ذلك الوشم الذي يقسم جبهتها إلى نصفين، وكأنما سيغور في الحفرة التي تشكلت جراء تقطيب حاجبيها ".[4] فالبياض هنا هو رمز للطهارة والعفة والجانب الروحاني الممثـــل في الجزائر، وجلستها المستقيمة دلالة على استقامة الدين الاسلامي الذي ينير طريـــق

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 21.

[2] – نفسه، ص 21.

[3] –ـــ نفسه, ص 22

[4] – نفسه، ص 29.

الشعب الجزائري، فتقطيب الحاجبين وتضييق عينيها هو نوع من الحوار عن طريق الإشارات والإيماءات.

وفي موضع آخر من السرد يتذكر قول أمه " بأن الناس الصالحين يموتون شبابا رغم أن الزمن يمتد بأعمارهم إلى ما شاء الله "[1]، فهي صاحبة الكرامات وإنسانة صالحة بمعنى أنها تتمتع بقوة.

إلى جانب هذه الشخصيات نجد :

4- شخصية الأم: الملقبة ببنت حليتم

رسم محمد الأمين بن ربيع شخصية الأم عن طريق السرد بقول نائل: "عيون أمي خضراء، لكن خضرتهما بدأت تفقد رونقها، لم يبق لها الزمان رونقا منذ أخذ منها أكثر مما أعطاها ".[2]، فالأم تتمتع بعيون خضراء والخضرة هنا رمز للنماء والطبيعة الخضراء بمعنى الجزائر وبدخول الاستعمار الفرنسي فقدت حريتها ومكانتها وجمالها واهتم المبدع بوصف البعد الجسمي من خلال أسلوبه السردي ونجد ذلك في قوله: " وتطلعت إليّ بعينيها الكبيرتين ".[3]

فهاته الملامح والحركات تعبر عما كادت تود قوله ولكنها اختارت الصمت؛ لأنه الأنسب في حالة الانبهار والدهشة، كما أنها تتميز بعينين كبيرتين دلالة على سعة البال ورحابة الصدر.

وقوله أيضا: "وضعت أمامنا الحليب وكسرة الفطير بعد أن قسمتها إلى أربعة وسوت محرمتها على رأسها كانت ضفائرها ملفوفة بشكل دائري على جانبي رأسها، فتبدوان كحلقتين تختزلان حكايات عمرها البائس، وفوق تلك المحرمة تضع قطعة قماش أخرى

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري ، ص 23.

[2] – نفسه، ص 22.

[3] – نفسه ، ص 145.

تشدها على صدرها بمدور فضة، ثوبها لم يكن شيئا فقد كان مفتوح الصدر، وينتهي طرفه عند منتصف ساقها، كنا أبعد ما نكون عن تتبع أبسط مظاهر الحياة، ما كنا لنبحث إلا عما نسد به رمقنا ويضمن لنا عيشا طيبا ".[1]

أبدع الكاتب محمد الأمين بن ربيع في وصف شخصية الأم وصفا دقيقا بعدّها رمزا للمرأة البوسعادية التي لا تزال لحد الآن محتفظة بعاداتها وتقاليدها, المتمثلة فالمحرمة التي تعد رمز للسترة والحياء, وكذلك ظفائرها الملفوفة التي تجسد جمال المرأة مستلهمة بذلك أنامل أشهر الرسامين في لوحاتهم العالمية وخاصة إتيان ديني الذي عشق بوسعادة وتخلى عن عقيدته لأجلها.

وهنا تظهر لنا من خلال هذا المقطع السردي بعض المظاهر التي تكشف لنا عن الحالة الاجتماعية التي كانت تعيشها أسرة نائل, فهي أسرة بسيطة تعيش على قدر حالها وذلك من خلال وصف مظهر الأم، وكذلك الطعام المتمثل في الكسرة والحليب وهو طعام الفئة البسيطة.

5- شخصية الأمير الهاشمي بن عبد القادر :

هي من الشخصيات التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالتاريخ، وتندرج ضمن الشخصيات المرجعية، فقد قدم الكاتب شخصية الأمير بدقة للوصول بنا إلى حالته أو اكتشاف فقدانه لبصره، حيث قال: "اقترب أحد الرجال المرافقين للموكب من العربة، وأنزل ما يمكن اعتباره سلما للنزول، وفتح باب العربة ومد يده، امتدت يد أخرى من داخل العربة، وبحركة بطيئة جدا ظهر صاحبها، كان رجلا كبيرا في السن عظيم البنية، يلف نفسه ببرنوسين بلونين مختلفين أحدهما كان أبيض أما الآخر فأقرب إلى الأمغر".[2]

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري ، ص 32.

[2] – نفسه ، ص 151.

يبرز الروائي شخصية الأمير من خلال أنه كان شيخا ويتمتع بصحة جيدة كما ركز على الزي الذي يلبسه فهو مصنوع من الصوف[1], فالبرنوس هو رمز العروبة والجاه والوقار وهو لباس الأغنياء في تلك الفترة .

كما أن الأمير كان ضريرا ولكن هذه العاهة لم تمنعه من مواصلة حياته، ولم يكن لها أثرا سلبيا على شخصيته, وهذا ما نلتمسه من خلال مكانته في أوساط مجتمعه، وهذا ما تطرقنا إليه في الفصل الثاني المعنون رسم الشخصيات.

6- شخصية الشريف نذير :

هو أحد أعيان المدينة ومن أصحاب الجاه وذو مكانة مرموقة في المجتمع, اهتم الكاتب بوصف مظهره الخارجي الذي يمثل ملامح الرجل العربي الأصيل من خلال قول أدريان: " كان رجلا خمسينيا، بالزي العربي، رداء فضفاض أبيض فوقه آخر بني، وعلى رأسه عمامة صفراء فاتحة اللون، كان له شاربان عظيمان، ذكرني بمراد صديق ستيفاني، هذا الرجل اسمه نذير".[2] وقول نائل أيضا:" كان وجهه الأحمر العريض دالا على النعمة التي حباه الله بها ".[3]

ومن خلال رسم هذه الصورة لشخصية شريف نذير على لسان بطلا الرواية من خلال وصف هيئته التي تدل على أنه أحد الوجهاء والشخصيات المعروفة في مدينة بوسعادة، فهو في عمر الخمسين، كما أن الكاتب محمد الأمين بن ربيع وصف لباسه الفضفاض الأبيض رمز الطهارة والعفة وعمامته الصفراء، وله شاربان عظيمان ووجهه العريض دلالة على النعمة التي منحها الله إياها.

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري، ص 151.

[2] – نفسه، ص 119.

[3] – نفسه، ص 193.

7- شخصية لالـــة الغُـــزال عـــويشة :

يبرز لنا الكاتب شخصية لالة الغُزال عويشـــة مـــن خـــلال رســـم البعـــد الخـــارجي والاجتماعي معا وذلك من خلال قوله: "هي الغُزال عويشة، ربّيت يتيمة، وكفَ بصرها صغيرة، لكنها كانت جميلة ذات شعر فاحم وبشرة قمحية، نذرت نفسها لخدمة مســـجد النخلة، بعد أن عرفت أن عماها سيحول دونها ودون رجل يتقدم لطلبها، فغادرت دوار التّرَيْبَة، متكئة على كتف ابن أخيها ليوصلها إلى بوسعادة تاركة أهلها ولما تبلغ الثامنة عشر من عمرها".[1]

لقد اتسمت وتمتعت بجمال فائق بشعر أسود وبشرة تشبه لون القمح, فمقيـــاس الجمـــال هذا تجاوز فقدانها بصرها الذي كان سببا في أنها نذرت نفسها لخدمة مســـجد النخلـــة, وهي التي ورثت عنها نانّا الضاوية الحكمة.

8- شخصية العجوز بوشونة :

وهي شخصية يهودية من عائلة استقرت بمدينة بوسعادة, هذه المدينة التي تفتح ذراعيها لكل من يقصدها وعن طريق السرد يقدمها نائل بقوله: "فتحت لـــي العجـــوز مقطبـــة الحاجبين كانت، تعصب رأسها بمحرمة سوداء اللون، وتشد وسطها الذي كـــان بقـــدر طولها تماما بحزام من الخيوط الصوفية الملونة ".[2]

وفي موضع سردي آخر يقول: "خرجت العجوز بوشونة بخطاها المتسارعة من ذلـــك البيت تلتحف ملحفتها الحائلة"[3]، فصفة السواد هنا ولون ملحفتها دلالـــة علـــى ســـوء السمعة والخبث وعدم الطهارة، كما نجد بأن مظهر المرأة اليهودية يشبه لباس المـــرأة الجزائرية إلا أنه يلحقها بصفة السواد والحائلة.

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري ، ص 158.

[2] – نفسه، ص 52.

[3] – نفسه، ص 51.

9- شخصية لالة الفاسيّة:

هي والدة زوجة الأمير الهاشمي وقد قدم الكاتب صورتها محملة بالتواضع والكرم والمعاملة الحسنى بقوله: "امرأة مليحة سمراء، لا تبدو رغم تجاوزها الستين قد بلغت الأربعين بعد، بشوشة طلقة تتعامل معنا بالحسنى"[1] فعن طريق السرد قدم وصفا لبشرتها السمراء، كما تبدو شابة رغم أنها تجاوزت الأربعين إضافة إلى أنها تتميز ببشاشة فهذا الوصف يتناسب مع أوصاف الأسرة الشريفة.

10- شخصية الراقصة يمينة :

هي من الشخصيات الثانوية المساعدة لبطلة الرواية ولها بعد صوفي لأن الرقص رمز من رموز الصوفيين، فقد رسم الكاتب هذه الشخصية عن طريق السرد من خلال البطلة وبطريقة غير مباشرة بقوله: "كانت عينا يمينة كبيرتين جدا، تتلاءمان مع وجهها العريض وأنفها ذي العظم البارز، ورغم أنها كانت شديدة السمرة إلا أنها جذابة إلى درجة تجعل الناظر إليها يتمنى لو يلمس صفحة خدها الخلاسي، أو سيتنشق نفحاتها من خلف ضفائرها التي تجمعها في شكل دائرتين كبيرتين حول أذنيها، كانت جذابة فعلا".[2]

وعن طريق الحوار الذي دار بين أدريان والراقصة يمينة تخبرها بأنها تتمتع بجمال فائق في قولها: "فأخبرتها أول ما التفتت إليّ أنها جميلة ويليق بها أن تكون راقصة".[3] وظف الكاتب هذه الشخصية في المتن الروائي لإبراز دور الرقص في اجتذاب السياح فهناك لوحات شهيرة للرسام إتيان ديني منمقة بالرقص النايلي، فقد وصفها بأنها تتميز بعينين كبيرتين، وذات وجه عريض وأنف زادها جمالا، وسمرة أضفت عليها حلاوة

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري ، ص 152.

[2] – نفسه، ص 132.

[3] – نفسه، ص 132.

فهي ذات جاذبية، كما وصف ضفائرها المشكلة على شكل دائرتين كبيرتين، وهنا رمز للمرأة البوسعادية التي تتميز بجمال فائق.

11- شخصية رجل المكتب:

"كان له وجه طويل وذقن مدبب، وعينان حادتان، لم أشك أبدا في أنه ليس فرنسيا، لكن لكنته الصافية ذكرتني بطريقة الجنوبيين في الكلام"[1], فهو يتمتع بوجه طويل، وذقن مدبب كما له عينان حادتان.

12- شخصيـــة مـــراد :

هو صديق ستيفاني وقد قدم عن طريق السرد بقول أدريان: "رأيتها معلقة فـــي رقبـــة رجل أسمر"، وفي مقطع سردي آخر: " كان يفرج عن أساريره كلما اقتربت شفتاه من بعضهما، رغم زيه المزيج ما بين الأوروبي والعربي، إلا أن سحنته كانت تؤكد لرائيه أنه عربي، ولكنته تدمغ أي شك في كونه كذلك، مددت ناحيته يدي لأسلم عليه، فغارت في كفه الضخمة، والحقيقة أنه كان ضخما، لم أر في حياتي رجلا في مثـــل حجمـــه، ورغم ذلك كان يبدو ودودا، أو ربما خجولا، فقد كان يتعثر بنظره أمام عيني فلا يثبته فيهما، في الوقت الذي كنت أتملاه" [2]، وفي قولها أيضا: "يبـــدو أن شخصـــية مـــراد شخصية تتصف بالود والخجل والحياء، كما أنه دائم التبسم، ويتميز بضـــخامة الجســـم وبشرة سمراء"[3].

إضافة إلى ذلك فقد رمز لكل الأولياء الصالحين المذكورين في الرواية بالبياض المجلل وذلك دلالة على الطهر والعفة والشرف.

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 109.

[2] – نفسه، ص 105.

[3] – نفسه, ص 106.

وفي هذا السياق يقول عبد المالك مرتاض مشبها الكاتب بالفنان الرسام: "فكأن النص استحال إلى ريشة ترسم وتدقق في الرسم فلا تغادر لونا ولا قامة ولا وزنا ولا صوتا ولا عينا ولا شعرا ولا فما ولا أسنانا إلا رسمها بشكل من التفصيل"[1]

من خلال هذه الدراسة التحليلية لشخصيات رواية " قدس الله سري" من الجانب الخارجي، نلاحظ أن محمد الأمين بن ربيع لم تخلو شخصية من شخصيات روايته إلا ورسمها من خلال وصف العيون والثياب، فالعيون هي أهم ملامح الوجه، أما الثياب فقد كان وصفها بدقة, وذلك لإبراز هوية الشخصية الجزائرية من خلال اللباس التقليدي الذي استهوى حتى الشخصيات المسيحية واليهودية.

ثانيا: البعد النفسي:

تحاول القصة أن تبرز الحالة النفسية والذهنية للشخصية، وتحدد مدى تأثير الغرائز في سلوك هذه الشخصيات من انفعال أو هدوء، من حب أو كره، من روح الانتقام أو التسامح، هل هي شخصية اجتماعية أو انطوائية، معقدة أو خالية من العقد، متفائلة أو متشائمة, فهذه الشخصية يجب أن تكون مقنعة للقارئ من بداية القصة حتى نهايتها.

"فالرواية ليست مجرد أشخاص يتحركون وأحداثا تحدث في أزمنة وأمكنة محددة، ولكنها في المقام الأول، نبضات قلوب وومضات أحلام إنها تنهدات العاشقين وزفرات البائسين المقهورين، وأهازيج المنتصرين، وفحيح الحاقدين المبغضين، وزئير الغاضبين، وسعار المستبدين المتكبرين"[2]، فالجانب الانفعالي الوجداني هو أحد المقومات الهامة في الشخصية وهو الذي يتحكم في الانفعالات.

---

[1] – عبد المالك مرتاض، تحليلالخطاب السردي ،معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق ، دوان المطبعات الجمعية ، الجزائر، ص 147.

[2] – عبد الله خمار ، فن الكتابة " تقنيات الوصف" ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، نوفمبر 1998 ، ص 208.

العـــاطـــفـــة :

هي نوع من الإنفعال الهادئ يتركز على موضوع معين يستأثر بمشاعرنا، كأن يكـون شخصا أو فكرة، مثل الحب كحب الأسرة والوطن والصداقة أو حب الفن والموسـيقى والشعر.[1]

1. الحـب :

يشكل الحب عنصرا أساسيا من العناصر المكونة للرواية العربية، فالحب قيمة لا تفقـد عمقها وثراءها الذاتي، وهو ما لا يغيب في عشرات النصوص الروائية اليـوم، لكـن اقترانه بمنغصات الحياة ... يجعله ابن زمنه.

وهذا ما سنتطرق إليه في رواية " قدس الله سري" من خـلال تغلغلنـا فـي أعمـاق الشخصيات لإبراز البعد النفسي وأثره في السلوك.

وقد تجلى معنى الحب من خلال العلاقة التي تربط بطلي الروايـة، وتمثـل الحـدث المحوري الذي تدور حوله الرواية، حيث نجد شخصية نائل الذي كـان يعـيش حيـاة هامشية تغيرت تماما بفضل هذه العاطفة، حيث يقول: " لم أكن أفكر في ملكوت الله بل في حركة أدريان وما أججته داخلي من رغبة محمومة في معرفة ما تحمله لـي مـن سعادة، لقد صرت رجلا من مدة ليست بيسيرة، ولكن اليوم فقط عرفت معنى أن تكون رجلا ولديك امرأة، تحبها وتفعل معها ما لا يمكن لشخص آخر أن يفعل دون حب".[2]

وفي مقطع سردي آخر يواصل رسمه لهذه الحالة النفسية مبرزا تلك اللقطـات التـي تظهر مفعمة بالمشاعر والانفعالات الجياشة، فقد حرص علـى تبليغنـا بكـل دقـائق،

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع ، قدس الله سري، ص 12.

[2] – نفسه، ص 33.

وتفاصيل اللقاءات التي كانت تجمع بين البطلين وهذه صورة اللقاء الأول بقوله: "وقفت أمامها يوم محض القصد في محض المسطر كلينا، بيننا جدار من الوهم الـــذي بنيتـــه لحظتها على أسس الفرق بيني وبينها، ولم أنتبه إلا وهي تلج باب المحل وتلج منه إلى قلبي، فأشعلت فيه نورا ما كنت أعرفه فيه قبلا ".[1]

من خلال هذا المقطع السردي يبرز لنا الكاتب ما يعرف باسم الحب من أول نظرة.

وقوله أيضا:" عندما وصلنا إلى الوادي لم أكن أفكر إلا في اللحظة الأولى التي ستسبق ولوجي إلى البيت وسيدة شقراء في إثري"[2]، وفي موضع سردي آخر يواصل حديثـــه بقوله: "العشق ... ليس خطيئة، أنا لم أفكر في العشق ولو لوهلة من سني التي تركتهـــا خلفي، اعتقدت أنه قد يكون أمرا يبتعد عن الإنسان كلما أراده أكثر حتـــى ســـمعت أن العشاق ينظرون بقلوبهم لا بعيونهم، عندما أردت أن أرنو بعيون قلبي، وقد كـــان قـــد رنت لها... هي.

مرور الخطيئة بقلب العارفين كفعل الفاعلين لها، ومرور العشـــق بقلـــب المجـــذوبين معركة ينبغي ألا يخسروها تحت أي خسائر أو تضحيات يقدمونها كنـــت مجـــذوبا ... مريدا متمردا، لا يهمني إلا تحقيق ما أصبو إليه "[3].

فالوصف الداخلي للشخصية هو " تتبع للحالات النفسية وتغيرات هذه الحالات حســـب تغيرات الأوضاع والمواقف الناتجة عن تعاقب الأحداث ومسبباتها".[4]

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري، ص 41.

[2] – نفسه، ص 46.

[3] – نفسه، ص 46.

[4] – إبراهيم صحراوي ، تحليل الخطاب الأدبي ، دار الآفاق ، الجزائر ، ط1 ، 1999 ، ص 106.

وفي قول أدريان: "كان سيؤلمني لو غضب مني، كنت أحبه رغم كل شيء، رغم أنه لم يكن يشعرني بجدوى ذلك الحب الذي أكنّه له، إلا أنني بقيت على حبه، أحاول أن أعيش به مدة أطول، او أستنشق بواسطته حياة أفضل ... ".[1]

فموضوع الحب في رواية قدس الله سري له دور بارز وفعال في أحداثها، بحيث نجد بأن البطلة شمس النهار (الآخر) أعلنت الإسلام بدافع الحب رغم أنها لا تعرف شيئا عنه لأن ديانتها المسيحية، وهذا من خلال الأسلوب السردي الذي يتخلله الحوار الذي أضفى على هذا السرد جمالية أسلوب الكاتب .

" سألها مرة أخرى، إن كانت مقتنعة بأن تعلن إسلامها وتترك مسيحيتها، قررت ألا أجيب بدلا عنها هذه المرة لأنني لم أناقشها في هذه الفكرة بالذات، وكأنما كنت على يقين بأنها تسلِم دون تردد، أجابت بسرعة لم أتوقعها:

- أفعل أي شيء لأجل نائل.

لكن الشيخ تململ في مكانه مقطبا حاجبيه، وأخبرها أن هذا الأمر غير متعلق لا بنائل ولا بغيره، بل هو يخص الله وحده، فإن لم تكن مقتنعة فلا إسلام لها، لكنها أكدت له أنها مقتنعة، توقعت أن تقول بأنها لا تعرف ما معنى كلمة إسلام، ولا تدري إن كان هذا الإسلام دينا أو عقيدة في الهوى، لكنها قالت نعم، ونظرت ناحيتي، وكأنما تقول مرة أخرى : أفعل أي شيء من أجلك ...

- ما دام الأمر كذلك، أعيدي من بعدي **أشهد أن لا إله إلا الله** .... [2]

فأدريان دخلت الإسلام من باب الحب معلنة شهادتها، فالحب هو الدافع الحقيقي لإسلامها وتغيير عقيدتها، وكذلك ارتباط الحب بالموت، "حيث تتحول المرأة إلى مأوى الروح ويصير الجسد شكلا من أشكال ممارسة الحرية، إذ أنه تتيح له فرصة اختراق

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع ، قدس الله سري ، ص 82 ، 83.

[2] – محمد الأمين بن ربيع ، قدس الله سري، ص 142 ، 143.

ما هو ممنوع اجتماعيا ودينيا ولكن الجسد هنا يقابل الأرض والوطن ولذلك فإن التوحد بالمرأة جسدا وروحا هو التوحد عينه بالوطن أرضا وهوية"[1]، كما أن الحب تضحية لأنه عاطفة ثابتة .

وليثبت نائل لأمه أن ما يعيشه ويختلج في صدره هو ناتج عن ما ورثه عنها بقوله: "رغم أنني أخبرتها أن السحر الوحيد الذي يتملكني اليوم هو نفسه السحر الذي جاء بها إلى بوسعادة يوما من ساحل البحر، دون أن تعير لغضب والدها وتهديداته بنسيانها أدنى اهتمام، وحده سحر الحب كان يتملكنا؛ هي, والدي، وأنا ... نائل بن سالم ".[2]

وفي قوله: "ضحى أبي بكل شيء لأجل أمي".[3]

فالحب هو رمز للحرية وللوطن وللهوية وهو الدافع لتغيير العقيدة، والهروب والتخلي عن الأسرة والتضحية بكل شيء من أجل هذه العاطفة الجياشة التي تدخل في إطار الشخصيات المرجعية عند فيليب هامون.

فالأم هنا لأجل حبها تخلت عن أسرتها بأكملها، رغم أنها أسرة معروفة، وأبوها شخصية له مكانة معتبرة، فقد تبرأ منها هو وإخوتها لاختيارها الزواج من سالم بن يحيى (والد نائل).

2. الكراهية :

في مقابل الحب نجد الكراهية، وهذا الشعور يتجلى لنا عن طريق السرد في قول نائل: "وصلت إلى قمة الربوة التي كانت مشرفة على الموامين، الكنيسة يحفها سكون جزائري مقرف، أكثر مكان كنت أكرهه في مدينتي هو هذا المكان".[4]

---

[1] – علال سنقوقة, المتخيل والسلطة, ص 132.

[2] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 169.

[3] – نفسه، ص 148.

[4] –نفسه, ص 35.

فالبطل هنا يبرز لنا كرهه لهذا المكان الذي هو كنيسة اليهود، فالكره ليس بالضرورة لشخص معين وإنما يتعداه إلى كره الأماكن والذات وهذا شعور طبيعي من طرف العرب اتجاه اليهود وكل ما يتعلق بهم.

ويتضح لنا الجانب النفسي عند "عبد الله خمار" في كتابه "فن الكتابة تقنيات الوصف" بأن "العواطف هي جانب هام من البعد الانفعالي الوجداني للشخصية، وهي متصلة بالانفعالات اتصالا وثيقا، بل إن تكرر الانفعالات وتجمعها حول موضوع معين يُكوِّن عاطفة الحب أو الكره أو الغيرة ...إلخ والعواطف هي صورة لعلاقة الانسان بمن حوله لذلك كانت عواطف الانسان وطريقته في التعبير عنها من أهم الجوانب التي تنم عن شخصيته".[1]

إضافة إلى ذلك فقد قدم لنا الروائي "محمد الأمين بن ربيع" شخصية " أدريان" من خلال رسم معاناتها بدقة، فالكره للذات بسبب ظروف الاستغلالية والمعاناة النفسية الداخلية كان له تأثير على سلوكها وطباعها.

وفي مقطع سردي آخر تقول: ".... لكن شيئا داخلي كان يتحطم هو الآخر، ربما تقديري لذاتي، ربما ... فأنا منذ الليلة التي ضاجعني فيها لودفيك كرهت نفسي، الحق أنني لم أكره نفسي كما الآن ولكنني فعلا كرهت نفسي".[2]

وفي موضع آخر من السرد أيضا تقول ... "فأنا لم أكره جسمي، إنما احتقرت ذاتي، لقد دنست من الداخل، أنا التي كنت أعتقد أنني أشبه مريم العذراء، تلك التي حبلت دون دنس".[3] فأدريان كرهت ذاتها بسبب تحطيم كبريائها وسلب كرامتها.

3. الحـــــــزن :

---

[1] – عبد الله خمار، فن الكتابة، تقنيات الوصف، ص 179.

[2] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 72.

[3] –نفسه، ص72.

يعتبر الحزن أحد الانفعالات المعبرة عن الجانب النفسي للشخصيات، وهذا ما نجده في بعض المقاطع السردية التي تعكس لنا اهتمام "محمد الأمين بن ربيع" في التغلغل في أعماق شخصياته: "فالبعد النفسي للشخصية الروائية يبرز من خلال أمور عدة هي: الحصار النفسي، والضجر، والشكوى، والانفعال، والبكاء، وفقدان الشهية، والتعب، والقلق، والأفكار المزعجة، والتشاؤم، والكوابيس، والاضطرابات الجسمية والشعور بالألم"[1] ، وهذا ما تزخر به رواية قدس الله سري.

ومن المقاطع السردية التي تعبر عن الحزن لدى شخصيات رواية قدس الله سري في قول أدريان عن زوجها: "يرتمي في السرير ويبكي، كالطفل الصغير يفعل"[2] وقولها أيضا: "فيليب أيضا كان يبكي على ما فعل وعلى خسارته، كان يبكي لأنه لن يستطيع الإقلاع عن عاداته مهما فعل"[3].

يبدو أن شخصية فيليب شخصية مستهترة ومتناقضة لأن حزنه نابع من ذاته، وكأنه يشعر بالندم على أفعاله وتصرفاته ولكنه لا يستطيع الاستغناء عنها.

وعن طريق السرد أيضا في قول أدريان: "كل عضو في جسدي كان يؤلمني، ولكن الألم الذي لم يُبْق لي ما يجعلني أتمسك بالحياة كان ألم روحي"[4] تعبر أدريان عن حزنها لإحساسها بتحطم ذاتها لأن ألم الجسد يزول، ولكن ألم الذات والنفس يبقى يلاحقها طول الزمن.

---

[1] – الشخصية المحورية في رواية عمارة يعقوبيان لعلاء الأسواني – دراسة تحليلية– نبهان حسون السعدون، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد13 ، العدد 1، 2012، ص 181.

[2] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 78 .

[3] – نفسه، ص 84.

[4] –نفسه، ص 85.

ونجد أيضا بكاء أدريان في قولها: "بكيت ليلتها حتى جفت مدامعي"[1] ويبدو أن محمد الأمين بن ربيع ركز على الجانب النفسي لبطلة الرواية وذلك لتغلغله في أعماقها من خلال ماضيها في فرنسا الذي حطم كبرياءها وعكس سلوكاتها وتصرفاتها.

وعن طريق السرد أيضا يبرز محمد الأمين بن ربيع أثر الحزن الذي خلفه وباء الطاعون في نفسية سكان بوسعادة بقوله: "وبكى الناس أبناء غير أبنائهم"[2] وفي قوله أيضا: "وغرقت المدينة في الحزن والدموع واتشحت بالسواد، ثم لم تلبث أن جفت مآقي الناس، وما عادوا يجدون دموعا يذرفونها وصار الرجل يحمل ابنه كما يحمل جديا مات بعد أن جف ضرع أمه"[3]، فالكاتب أبرز لنا الألم الذي تجرعه سكان المدينة جراء وباء الطاعون حتى جفت دموعهم, وهذا لجسامة الحزن الذي عاشوه, ومن بينهم أسرة نائل الذي توفي أخويه من جراء هذا الطاعون الذي كان له الأثر البالغ على نفسية الأم.

وفي قولها:" أخبرتها بأن الله سيعيد إليها نورعينيها، بعد أن فقدته من كثرة بكائها على ابنيها"[4].

وفي موضع آخر وعن طريق السرد أيضا يصف لنا الراوي البطل انفعالات أمه وشعورها بالحزن في قوله : " ... أن أمي تنتظر فرصة مواتية لتبكي، وتفرغ حزنها الذي كتمته نانا الضاوية في جوفها بعد أن طلبت منها أن تترك الأمر يسير على حاله، بكت وناحت وتعالى صوتها، ولطمت خدها ثم كادت تمزق ثوبها... "[5]

---

[1] – نفسه، ص 84.

[2] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري ، ص 155.

[3] – نفسه، ص 155.

[4] – نفسه، ص 157.

[5] – نفسه، ص 165.

يبدو من خلال هذا المقطع السردي أن انفعالات الأم تعبر عن موقفها اتجاه رفضها لزواج ابنها من الفرنسية أدريان موریاك الذي كتمته بسبب طلب من الولية الصالحة نانا الضاوية على ترك الأمور تسير كما شاء الله.

4. الانفتاح على العوالم الأخرى :

تمزج رواية "قدس الله سري" بين الواقع والخيال, لأن الأبعاد المجازية المتخيلة في النص الروائي هي التي تحقق الأدبية أو الجمالية, ورواية "قدس الله سري" تنفتح على عوالم السحر والخيال من خلال هذه الجمالية المتخيلة.

*** نائل والبرزخ :**

بأسلوب سردي رائع قدم لنا الكاتب صورة إبداعية يصف لنا حالة نائل الواقف بين طرفي الحياة والموت في برزخ كل ما فيه فيوضات من نور, تلك الصورة الممزوجة بالمتخيل الذي أضافه المبدع من خلال نص سردي مبهر ورائع يعكس روعة أسلوبه الذي تصور لنا رحلة الدخول في عالم الأموات والعودة منه.

" فالبرزخ في لغة العرب هو الحاجز أو الحد أو الشيء بين الشيئين"[1] وهذا مانجده في سورة الرحمان في قوله تعالى: (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَان بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَان)[2] الآية 20, وفي دلالة قرآنية أخرى في قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون)[3] الآية 100.

---

[1] – عبد الله حمادي, سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين" دراسة نقدي", اتحاد الكتاب الجزائريين, دار هومة, ط1, 2002, ص109.

[2]– سورة الرحمان, الآية 20.

[3]– سورة المؤمنون, الآية 100.

حيث يسرد لنا الراوي البطل حالته بأسلوب سردي صورة الذهاب بعيدا عن الواقع, أو ما يسمى بالغيبوبة في قوله: "أحسست بألم حاد أسفل ظهري, واشتممت رائحة احتراق جلدي, ولم أع بعدها ماذا حدث"[1].

وقوله أيضا: "الظلمات السبع, عشق أسود, قلب أسود, وروح لا تعرف عن خوف الله شيئا, غسلت وكفنت, وأشيع خبر موتي في كل المدينة, فجاء الناس من كل مكان ليعزوا والدي"[2], وفي موضع سردي آخر "غسلني عمي بنعمون, وأشرف على كل ما يستلزمه تشييع ميت"[3].

فهذه المقاطع السردية هي هروب من الصدمة التي تلقاها بعد سحر اليهود الذي أثر فيه, وكذلك بعد امتناعه عن رؤية زليخة اليهودية, وبذلك يظهر الجانب الصوفي من خلال الرحلة الخيالية, أي العالم الغيبي الذي يجسد رحلة الروح إلى عالم الغيبيات بحثا عن حقيقة الموت والحياة, الجسد والروح, الجنة والنار بقوله: "سقطت مغشيا على الأرض فقد أمضيت مدة طويلة أبحث عن هواء أستنشقه لكن عبثا كنت أفعل, تحركت في كل الاتجاهات لعلي أضفر بفرصة دخول الهواء إلى رئتي, ولكن لاجدوى, أحسست بصدري يضيق ويضيق كأنما طبقت أضلعي على بعضها مثل دفتي مجلّد قديم مغبر, فغرت فاي, اتسعت عيناي, وطنين رهيب صم أذني...لوحت بيدي في الفضاء أبحث عن شيء أستند عليه لئلا أسقط لكن .... سقطت .....في سري ناديت الله تذكرته بعد أن نسيته زمنا طويلا"[4].

من خلال وصفه لحالة إغمائه ودخوله عالم الأموات يبرز لنا إحساسه بالوحدة, كما يعرج بنا أنه رأى وشاهد أشياء ما كان يراها ويسمعها وهو حي, هذه المشاهدات

---

(1) – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 59.

(2) – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 59.

(3) – نفسه, ص59.

(4) – نفسه, ص 56.

الغيبية النورانية تبرز لنا بعدا دينيا وتاريخيا يتعلق بالمعتقدات ببعض المذاهب الدينية الإسلامية بقوله" أين أنا؟ كنت ملقى في بياض ناصع, لم أكن أملك لنفسي شيئا, فلا بصر ولا صوت ولا حركة, ولا نبض...نعم لم أعد أسمع نبضي, كل ما كنت أسمع, الصوت شبيه شحذ السيوف وهو ينادي علي بأحب الأسماء إلى نفسي,..الصوت الحاد, كان يتبعه صمت رهيب, وذلك الصمت عرّفني أنه لم يعد لي نبض, كنت ميتا"[1].

وفي حوار نانّا الضاوية مع أمه:

– " نصفه في الداخل ونصفه في الخارج, نصفه في الشمس ونصفه الآخر في الظل"[2]

هذه العبارة تحفل بدلالات رمزية ذات مدلولات عميقة وأهمها: الشمس التي ترمز للحياة والظل الذي يرمز للموت, وكأنها قالت لها بأنه بين الحياة والموت بفعل أصعب سحر وهو سخر اليهود الذي لا يعالج إلا بطقوس نانّا الضاوية التي تعتبر نوعا من توظيف التراث بقوله عن طريق السرد "مسحت أطرافي بها, وهي تردد قوله الله: (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون)"[3].

ومواصلا السرد أيضا بقوله: "ارتخت أطرافي, وأحسستها تثقل, ثم تنمل ثم تنحدر, وراودتني رغبة في التقيؤ, فأجهدت ألا أفعل وأنا لا أستطيع القعود, كانت لا تزال تمسح أطرافي بالزيت, وهي تلهج بآيات القرآن والأدعية وأحيانا يختفي صوتها, فلا أسمع إلا همهمة, لا أذكر كم دام ذلك من الوقت...."[4].

يوحي لنا الكاتب هنا عن ما يسمى بالرقية خاصة وأن نانّا الضاوية ولية من الأولياء الصالحين وذات حكمة, وسنختار بعض المقتطفات من عالمه الغيبي, بقوله:" رأيتني

---

(1) – نفسه, ص 177.

(2) – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 58.

(3) – نفسه, ص 58.

(4) – نفسه, ص 58.

ممددا على الأرض, كأنني لست أنا في غمرات الموت ونشوة اللقاء الأعظم, كنت لإنساني بل يجب ان أتلا فاني.

فلا أحد يستحق احتفاء الوصل كسيد الموصولين الواصلين, أرضي عني أم أرضاني؟"[1].

هذه المقاطع السردية تبرز لنا روعة وبراعة أسلوب الكاتب محمد الأمين بن ربيع من خلال المتخيل الروائي, الذي أضفاه على الجانب النفسي لشخصياته حول حلقة الحياة والموت والانبعاث وهذا ما نستخلصه من قوله: "....تعالت تكبيرات المصلين بشكل عشوائي, لا يدل على أنهم يتابعون إمامهم, فقد كانوا يتابعون حركة الجسم الذي مسجى على اللوح أمامهم, تفرقوا شيعا, بعد أن تململت داخل الكفن, قواي كانت واهنة ولكني جاهدت أن تحرر من قيدي الذي كان يكون أبديا, اقترب مني الإمام ووالدي, فتحا الكفن, قال الإمام:

– ما اسم أخويك اللذين توفيا بالوباء؟

– مو....سى, عمر...."[2]

وفي موضع سردي آخر بقوله: "وهكذا كانت أسماء الموتى مفتاحا لدخولي عالم الأحياء مجددا, بعد أن وقفت على بوابة الموت, أكاد ألجها وألحق بالراحلين..."[3]

تعتبر العودة إلى الحياة معجزة, لا يمكن لأي كاتب أن يصورها, إلا إذا كان بارعا ومبدعا, وهذا ما نجده عند الروائي محمد الأمين بن ربيع, فقد صور لنا حالة البطل بعد أن ظن الجميع أنه مات, ثم فجأة عاد إلى الحياة كمولود جديد بقوله: ".... وأنا كنت كالمولود حديثا..."[4]

---

(1) – نفسه, ص 180.

(2) – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 60

(3) – نفسه, ص 60.

(4) – نفسه, ص 61.

وقوله أيضا: "..ها أنت اليوم كما خلقت أول مرة"[1].

ومن خلال هذه المعجزة, اعتبروه الناس مختارا من الله أو وليا صالحا, فهو صاحب سر احتفظ به لنفسه, لم يحدث عنه أحدا, لا عن مشاهداته, ولا عن تجربته, وبذلك "فنائل" متشبث بالحياة مهما كانت فكرة الموت مرتبطة ولصيقة به, فالتشبث بالحياة هو سر في ذاته, لأنه لكل إنسان سر يحدث به ذاته, ولا يحدث به غيره, أي سر خاص به وفقط.

" تذكرت برزخي, كنت أتمنى أن أقص ما حدث لي فيه على أدريان, كنت أتمنى أن تكون أول من يسمع حديثي عن برزخي, وقد امتنعت عن ذلك مع أي كان, حتى مع الإمام الذي طلب مني أن أحدثه عما رأيت, لقد كان سري الأكبر, ولعله سيبقى كذلك إلى أن أموت ويدفن معي....." [2], وبذلك ف"نائل" نال ما أراده وقدّس الله سره

*** نانّا الضاوية والعالم الآخر :**

قدم لنا الكاتب محمد الأمين بن ربيع شخصية نانّا الضاوية بحالتين الأولى في عالم البشر, والثانية في العالم الآخر, وسنركز على العالم الآخر لأنه يلامس الجانب النفسي والديني والغيبي...بقوله: "....كنت أسمع دائما أنها تعود منها إنسانة أخرى غير التي كانت عليها قبل المغادرة"[3].

وفي موضع سردي آخر "طغى على عينيها البياض, وتراجعت إلى الخلف مستندة مرة أخرى على الضريح وهي تلهج بتمتمة غريبة "[4]. ومواصلا سرده قائلا: "عندما بدأت تمد رجليها وكأنما ستأخذ غفوة, كانت تتمدد ببطء, رجلاها إلى يمينها ورأسها إلى شمالها, وهي مستندة على الضريح, لم يكد رأسها يمس زركشة الزربية حتى انتفضت

---

(1) – نفسه, ص 179

(2) – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري, ص 176.

(3) – نفسه, ص 24.

(4) – نفسه, ص 25.

كالنعجة المذبوحة, وهي تصدر صوتا كالحشرجة لا يشبه صوتها.....كانت تهتز بعنف أكبر حتى سقطت خليلاتها المشدودة على ثوبها فانسدلت محرمتها وانكشف لي رأسها..." [1].

من خلال هذه المقاطع السردية تبرز لنا معالم فنية وجمالية للمتخيل السردي الذي أضافه الكاتب الروائي على هذا الوصف الذي يعكس روعة وبراعة أسلوبه, فقد رسم لنا شخصية نانّا الضاوية مزجا بين الحقيقة والخيال.

وملخص البعد النفسي أنّ لهذه العواطف والانفعالات أثر بالغ في توجيه سلوك الفرد وتفكيره, وفي عمليات الإدراك والتذكير وفي تكوين المعتقدات.

ثالثـــا: البعد الاجتماعي :

يعتبر البعد الاجتماعي أحد الأبعاد الثلاثة المتحكمة في تكوين الشخصية، وهو كل ما يربط الشخصية بمحيطها الخارجي ويشمل الجوانب الثقافية والمكانة الاجتماعية والعلاقات المختلفة، فالبعد الاجتماعي "يهتم بتصوير الشخصية, من حيث مركزها الاجتماعي وثقافتها, وميولها والوسط الذي تتحرك فيه"[2].

وهذا ما سنعرج عليه من خلال شخصيات رواية "قدس الله سري"

1- شخصية نائل بن سالم:

يعتبر الشخصية التي تمثل الركيزة الأساسية التي يبنى عليها هذا العمل الروائي، فهو شاب جزائري في مقتبل العمر يعمل في محل لغطس الصوف، بمدينة بوسعادة، كان يعيش حياة هامشية وهذا في قوله:" فأنا منذ بدأت العمل في هذا المحل لم أنصرف مطلقا لأي سبب كان، حتى وإن كان لداعي المرض" [3], وهذا لسببين أن هذا المحل

---

[1] – نفسه, ص 25 .

[2] – شريبط أحمد شريبط, تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1947–1985), ص35.

[3] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 15.

كان يتمتع بسمعة جيدة والعمل فيه كثير والسبب الثاني هو خوفه من صاحب المحل بقوله: "أفضل وسيلة يمكن لي بها المغادرة دون خوف من بلقندوز هو أن أخبره أني ذاهب إلى نانا الضاوية"[1] لأن صاحب المحل كان متسلطا.

ومن خلال إبراز البعد الاجتماعي لشخصية نائل تتجلى لنا الظروف الاجتماعية السائدة في مدينة بوسعادة أثناء التواجد الفرنسي وذلك عن طريق السرد بقوله: "وقد كنّا نحظى ببعض الطعام أو اللحم بعد أن يفرغ الرجال من الغداء"[2]، وقوله أيضا: "... وقبل خلودها إلى القيلولة، لتنعم علينا بما بقي على موائدهم... فنفرح كثيرا وننطلق في الدعاء لها ولغيرها ونحن نلتهم ما وضعته بين أيدينا".[3]

وفي موضع سردي آخر يقول :" ... أن يكون ذلك اليوم عيدا حقيقيا، ينسي الأهالي بؤسهم"[4]، فالمجتمع الجزائري كان يعيش حالة بؤس وهو كمثال كان يعيش على الهامش بالنسبة إليه الطعام أمرا عظيما يحتفى به وذلك عند زيارة الأمير الهاشمي وأسرته لمدينة بوسعادة.

وفي نفس السياق يقول: "دفعت الباب الذي لم يكن سوى أخشاب مشدودة إلى بعضها بدسر، وولجت الكوخ القديم الذي ولدت فيه وولد فيه قبلي والدي وشهد تعاقب أكثر الحوادث المتصلة بعائلتي ألما وسعادة على الإطلاق".[5]

"فنائل" كان ينحدر من أسرة فقيرة، تسكن كوخا قديما كان شاهدا على آلامه وأحلامه جعله بمقته وذلك في قوله: "حملت هذه المرة على الأكتاف ولكن هذه المرة إلى قبر الدنيا كوخنا..." [1] فهو يعتبر هذا الكوخ الذي عاش فيه وترعرع بمثابة القبر.

---

[1] – نفسه، ص 17.

[2] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 152.

[3] – نفسه، ص 150.

[4] – نفسه، ص 150.

[5] – نفسه ، ص 31.

وبالعودة إلى ماضي البطل" نائل" عن طريق تقنية الاسترجاع التي شغلت حيزا كبيرا في المتن الروائي، وذلك لإعطائنا أكبر قدر من المعلومات عن تلك الفترة وكذلك للكشف عن جوانب عدة للتعرف أكثر على حياة الشخصيات حيث يقول: "أدعى نائل بن سالم، ولدت قبل سبع سنوات من العام الذي اجتاح فيه الطاعون مدينة بوسعادة، وأتى على الكثير من أهلها،... كنت الوحيد الذي بقي على قيد الحياة، فعمر وموسى ماتا بالوباء، وأصيب أبي بعاهته التي حرمتني من سماع صوته وإسماعه صوتي".[2]

صور لنا الكاتب محمد الأمين بن ربيع المعاناة التي خلفها وباء الطاعون لأسرته، حيث توفي أخويه وأصيب أبوه بعاهتي البكم والصمم من جراء الصدمة، وهذا ما ورثته أختيه التوأم أيضا،فهذه الظروف الاجتماعية القاسية ساهمت في تكوين شخصية نائل.

كما نجد أن نائل تجرع مرارة الفقر الذي كان يتحكم في حياته، وحتى في ذاته، فالوضع الاجتماعي لأسرته جعله يغادر مقاعد الدراسة مبكرا بقوله: " لكني لم أُصَلِّ منذ غادرت الكتاب إلى المدرسة الفرنسية " شالّون"، بحثا عن تعليم آخر يضمن لي ألا أموت جوعا، وأجد شيئا أسد به رمقي إن طال بي العمر لدى واحد من أولئك الكولون، ولكني وبعد خمس سنوات في تلك المدرسة وجدت نفسي في ذلك المحل برأي من عمي بنعمون وبمباركة من أبي"[3] ويعني ذلك أنه ترك تعليمه لأجل مساعدة أسرته.

"فالبيئة من أهم المقومات المكونة للشخصية ونقصد بها البيئة الطبيعية والبيئة الاجتماعية فالأولى هي المنطقة التي تولد فيها الشخصية وتنشأ فيها آخذة من صفاتها بعض مزاجها وطباعها"[4].

---

[1] – نفسه ، ص 61.

[2] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري ، ص 23.

[3] – نفسه ، ص 47.

[4] – عبد الله خمار، فن الكتابة تقنيات الوصف، ص 169.

فشخصية نائل تبرز لنا دور البيئة الاجتماعية في الكشف عن سلوكه وذلك من خلال قوله لأدريان: "لا يجوز مثل هذا التصرف أمام عائلتي"[1]، وهذا لإبراز قيمه الخلقية وهي قيم سامية تربى عليها منذ كان صغيرا بقوله عن طريق السرد: "لم تكن أمي تبدي ملاحظاتها علنا، تلك الحركات التي حفظنا معانيها صغارا فصرنا نتعامل بها أكثر من الكلام"[2]. فالتنشئة الاجتماعية داخل الأسرة المحافظة لها أثر واضح وجلي على سلوك أبنائها مهما مر الزمن.

فالبيئة في نظر "عبد الله خمّار" "هي التي يتلقى منها عاداته وتقاليده وقيمة الخلقية سواء أكانت قيما سامية أم دنيئة"[3].

ويبدو لنا أن محمد الأمين بن ربيع وظّف التراث الشعبي من خلال تمسك البطل نائل بعادات وتقاليد مدينة بوسعادة, ويتجلى ذلك من خلال قوله: "تذكرت أن بلحيدوسي أمرني بأن أولم لأن هذا من السنّة ربما سيمنحني أبي جديا لأذبحه"[4], وقوله أيضا: "الزوجة عندنا تخضب بالحناء كفيها عاما كاملا لذا يرمز إلى العروس بالحناء"[5], وفي موضع آخر من السرد أيضا بقوله: "طلبت من أمي أن تزغرد وأن تفعل لأدريان ما يجب أن تفعله لعروس إبنها"[6].

من خلال هذه المقاطع السردية يظهر لنا سلوك نائل بتمسكه بعاداته وتقاليده رغم أن زوجته مسيحية, فالحناء يرمز بها للعروس الجزائرية, وكذلك إقامة العرس, فالتمسك بالعادات والتقاليد هو من السلوكات التي تعبر عن الإنتماء الوطني.

---

(1) – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص32.

(2) – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 10 .

(3) – ينظر, عبد الله خمّار, فن الكتابة "تقنيات الوصف", ص169.

(4) – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص144.

(5) – نفسه, ص145.

(6) – نفسه, ص145.

"والتمسك بالعادات والتقاليد يتمثل في التمسك بالقيم والعادات الموروثة, كالصناعات التقليدية, والألبسة التقليدية, والاهتمام بالتراث المادي والحفاظ عليه"[1].

الإنتماء الوطني عبارة السلوك الذي يعبر به الفرد عن إلتزامه بالقوانين وتمسكه بهويته الوطنية وهذا ما قصده الكاتب محمد الأمين بن ربيع من خلال رسمه البعد الاجتماعي لشخصية البطل نائل.

أما الجانب الديني فنجد "نائل" متمسك بالله في كثير من المواقف وذلك من خلال قوله: " الله من عليائه سترنا بحجاب"[2] وفي قوله أيضا: "في سري ناديت الله تذكرته بعد أن نسيته زمنا طويلا"[3], وذلك أن الفرد مهما ابتعد عن دينه إلا أنه يبقى متمسكا به, وفي موضع سردي آخر يبرز لنا الكاتب عظمة الدين الإسلامي بقوله: "علي أن أقنعها بعظمة إلهي وأنا أدعوها إلى الإسلام"[4], وكذلك قوله: "كانت تضحك وأنا أهيئها لتكون بوسعادية, أما أنا فكنت أفكر في الكيفية التي سأهيئها بها لأقول لها أن عليها أن تصير مسلمة عسى أن يوفق الله بيننا, ويجمعنا في الحلال."[5]

يبدو أن الكاتب محمد الأمين بن ربيع أراد إبراز قيمة الهوية الوطنية من خلال البطل نائل, فرغم أن الطرف الآخر غربي إلا أنه بقي متمسكا بكل ما يمت للدين

(1) – خوني وريدة, دور المدرسة في تنمية قيم الإنتماء الوطني, عدد خاص, الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمحلات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري, المركز الجامعي, تبسة, ص 35.

(2) – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص46.

(3) – نفسه, ص 56.

(4) – نفسه, ص 62.

(5) – نفسه, ص64.

الإسلامي بصلة, وذلك ما نلمحه في حوار نائل مع أدريان حين قالت: "ألن تساعدني في تسوية هذا اللحاف؟ رفعت طرفي الملحفة فوق رأسها, وسترتها جيّدا."[1]

يرمز الكاتب من خلال الملحفة للعفة والشرف والطهارة والسترة, لأن الدين الإسلامي يدعونا للحجاب.

وفي موضع حواري آخر يكشف كلا البطلين عن موقفهما من مسألة المعتقدات وهذا من خلال مادار بينهما:

"– هذه فرصتنا لنكون معا للأبد, ولن يفرقنا شيء إلا الموت.....سيمكنني أن أعاشرك كزوج دون خوف أو وجل, أو أدنى شعور بالذنب.

– ولما لم نفعل ذلك من قبل؟

– لسبب بسيط حبيبتي, هو أنك متزوجة من رجل آخر.

– لكنني هجرته, لم يبق مانع إذن! "[2]

من خلال هذا الحوار شرح نائل لأرديان سبب عدا اقترابه منها لأن ديننا الحنيف يمنع ذلك ومواصلا الكاتب هذا الحوار بقوله:

– ماهو؟

– أن تعلني إسلامك؟

---

(1) – نفسه, ص137.

(2) – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص 65.

مادام قلبي هداني إليك فلا بدّ أنه هو الذي يطلب مني أن أتبع ما تقوله لي, فليكن لك ما أردت, بإمكانك أن تعتبرني من الآن مسلمة....."[1].

فقد أعلنت إسلامها من باب الحب, ومن أجل نائل وذلك لكي لا ترفض له طلب.

واصلت:

"– أحبك صدقني, لكن بحثي عن الحرية هو الذي قادني إلى هذا الدرب, وأنت من كان دليل حريتي.....

– قاطعتها, خفت أن تقول أنه لا فرق لديها أن أكون أنا هو أو هو الآخر:

– أترين هذا الطريق, منه نزلنا يوما, نسابق آمالا رسمناها بخطوط الشمس التي تحدثنا بسرها الأعظم في لقائنا الأول.....بإمكانك الآن أن تعودي أدراجك منها صعودا لتتداركي تلك الآمال, فتصححيها بواقع الهوة الموجودة بيننا.

– أنت لا تعرفني يا نائل....."[2]

من خلال هذا الحوار يبرز لنا الكاتب أفكار وموقف أدريان ونائل من مسألة المعتقدات فمهما كان فإن الهوية تفرض نفسها على الفرد مهما حاول الابتعاد عنها.

2– شخصية أدريان موریاك (شمس النهار):

اهتم محمد الأمين بن ربيع بالبعد الاجتماعي لشخصية " أدريان موریاك" التي تقاسمت دور البطولة في رواية " قدس الله سري" مع نائل بن سالم، حيث قدم لنا أدريان بشخصيتين: الأولى في الماضي في فرنسا والثانية في الحاضر أي في الجزائر، وعن طريق السرد وباسترجاع شريط ماضيها في وادي بوسعادة الذي شهد سرد حكايتها،

(1) – نفسه, ص 66.

(2) – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص67.

فقد عاشت طفولة يتم وتشرد وحرمان من الحنان الأسري والدفء العائلي، حيث قالت: " ولدت بهذا الاسم، لكن تحول فجأة إلى ماري تيريز في دير التحقت بـــه فـــي عمـــر العاشرة، لم أكن مخيرة في ذلك، وقد اكتشفت لاحقا أن حياتي كلها كانت مقدرة، وأنني لم أخطط لشيء فيها إطلاقا"[1],وفي قولها: "عشت بذلك الاسم المستعار ست سنوات"[2]، وفي موضع سردي آخر بقولها: "فكرت في أنه علي أن أنجب الكثير من الأطفال لأسد ذلك الفراغ الذي خلفه لي يتمي القصري في حياة والدي، وكل تلك المآسي التي عشتها دون أن أجد أي شخص يواسيني..."[3].

من خلال هذه المقاطع السردية تكشف لنا "أدريان" عن طفولتها المؤلمة، فقد تربت في دير الرهبنة باسم ماري تيريز مدة ست سنوات بعد انفصال والديها، وأن كل شيء كان مسطرا لا دخل لها فيه بعد انقضاء هذه السنوات تبنتها أسرة موریاك التي كانت مـــن نبلاء فيارزون، حيث استغلتها بكل الطرق وذلك من خلال قولها: "أنا أدريان، انتســـبت إلى عائلة موریاك بالتبني، كنت ابنة برتبة مربية، تم ترقيـــت وصـــرت عشـــيقة"[4]، فانتسابها لهذه الأسرة أدخلها عالم الرذيلة والخطيئة.

أما بالنسبة للمستوى الاجتماعي فقد كانت حالتهم توحي إلى الفقر وذلك عـــن طريـــق السرد بقول أدريان: "عشنا حياة تنقل ولا استقرار" [5] وقولها أيضا: " لم نكن نملك ما ندفع ثمن إقامتنا، كنت أضطر في أحيانا كثيرة إلى غسل الأغطية أو تنظيف الغرف في

---

[1] – نفسه ، ص 68.

[2] – نفسه، ص 68 .

[3] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري ، ص 103 .

[4] – نفسه ، ص 68.

[5] – نفسه، ص 77.

تلك الفنادق التي لم يكن أصحابها يرضون بالوعود"[1], ونجد في نفس السياق أيضا قولها: "تذكرت أننا منذ ما يقرب الشهر ونحن نأكل الجبن والخبز فقط".[2]

فكل هذه المقاطع السردية يبرز من خلالها محمد الأمين بن ربيع أن أوضاعهم الاجتماعية كانت مزرية للغاية، وهذا ما جعلها في أغلب الأحيان تعمل كخادمة في الفنادق لتسد ثمن إقامتهم فيها.

فشخصية أدريان في الماضي هي تصوير عميق لمعاناتها عبر كل مراحل حياتها منذ الطفولة، هذا ما جعلها تحاول أن تقطع كل ما يمت بصلة مع ماضيها من خلال قولها عن طريق السرد: " ... لم يكن هنالك بد من التفكير في وسيلة مجدية لقتل كل الإرتباط المرضي مع كل ماضيَّ، حتى وإن كان الإحساس بالرطوبة من حولي، كان علي قتل أدريان، وإحراق كل أثوابها وأفكارها ومسلماتها ومشاعرها السابقة وشهواتها وقرفها ونزقها وخنوعها، كان علي إحلال شمس النهار محلها وإلا كانت رحلتي ستتحول إلى مجرد قفزة فوق البحر...". [3]

يوحي هذا المقطع السردي للغة الشعرية الرائعة التي تنفتح على عوالم البحث عن الحرية التي كانت تحلم بها في عالم جديد غير عالمها السابق، حيث تتجلى لنا هنا صورة الفرنسية "أدريان" التي غيرت اسمها وكأنها بهذا السلوك أرادت قطع علاقتها بفرنسا، حيث اختارت لها اسم "شمس النهار" وقررت مواصلة الحياة رغم المآسي والآلام التي اعترضتها منذ ولوجها هذه الحياة.

---

[1] – نفسه، ص 77.

[2] – نفسه، ص 80.

[3] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري، ص 112.

" طويت صفحة السنوات الثلاثة التي أمضيتها في هذا البيت... شكرا لأنكم صنعتم مني إنسانة مدنسة، وبددتم الحلم البرئ الذي خرجت أعيشه من الدير"[1], فأدريان تشعر بخيبة ألم و أمل من خلال ما عاشته في بيت آل مورياك.

فهروبها من لودفيك وزوجته أوقعها في أخيه فيليب الذي تزوجها ليثأر من أخيه الذي حرمه الميراث, وليس حبا فيها بقولها: "الشيء الوحيد الذي كنت أسمعه هو تلك الكلمة التي لفظها أخيرا، لم أكن بالنسبة إليه سوى عاهرة !! تفر من حضن لتقع في آخر، لا هم لها سوى النفاذ بجسمها".[2]

فرسم هذه الشخصية بالتدريج لأنها شخصية نامية ومتطورة، فمعاناتها مستمرة في هذا المجتمع الذي وجدت فيه نفسها مجرد آلة لإشباع الرغبات، وبيع جسدها ثمنا لأخطاء زوجها وخسارته القمار وتراكم ديونه في قولها: "لم أعد أنا هي أدريان، تحولت إلى آلة لإشباع الرغبات"[3], وقولها أيضا: "تغيرت حياتنا، استأجرنا بيتا وتخلينا عن حياة الفنادق والتشرد، ثمن كل ذلك بجسدي".[4]

فهروبها من بيت آل مورياك وزواجها من فيليب جعلها مقيدة، وأدخلها عالم الرذيلة مجددا، ومن هنا يظهر فساد المجتمع الفرنسي حينا، والإيحاء بالتمرد والثورة حينا آخر، فتحسن مستوى المعيشة نتيجة ممارستها للخطيئة.

فقد كانت تتمتع بموهبة حب التصوير بالآلة التي أهداها إياها زوجها، التي فتحت أمامها حب الحياة بعدما كانت رغبة الموت تجتاحها بقولها: "أول صورة التقطتها كانت كفيلة بأن تجعلني أعشق تلك الآلة، وأتخذها بديلا لكل الناس الذين عرفتهم، لقد كانت

---

[1] – نفسه ، ص 73.

[2] – نفسه، ص 74.

[3] – محمد الله بن ربيع, قدس الله سري، ص 85 .

[4] – نفسه، ص 85.

السبيل الوحيد لأقتنص اللحظات الهاربة مني، لعلي أوقف الزمن قليلا فلا أواصل سيري الحثيث إلى شيخوختي، باتت تلك الآلة تحفظ لي أيامي، وجعلتها شيئا ثمينا أبحث فيها عن كل جميل يشجعني لأحيا يوما آخر، وشهرا وعاما، حتى أني لم أعد أرغب في الموت، واجتاحتني الرغبة في الحياة ، مجددا منذ زمن طويل،..."[1]، وقولها أيضا: "اكتسبت روحا جديدة، دبت داخلي في كل مرة كنت أتوقف لالتقاط صورة ما"[2]، فهذا الأسلوب السردي الرائع أبرز مكانة هذه الآلة بالنسبة لحياة أدريان التي أصبحت ترافقها أينما تكون واتخذت محل كل من صادفتهم في حياتها.

أما بالنسبة لعلاقاتها الاجتماعية فقد كانت زوجة وفية لزوجها، بالرغم من أنه لم يقم بدوره ولم يتحمل مسؤوليته كزوج بقولها: "كزوج يجب علي أن أكن له الإحترام على الأقل..." [3] وقولها أيضا: "أتساءل إن كان واجب علي أن أتحمل منه كل هذا ، ولا أرى منه في المقابل أي شيء، مهما كان".[4]

وفي موضع آخر من السرد يقول نائل: "ما كان ليهمني أنها تبعت زوجها إلى الجزائر إكراما له وانصياعا"[5] فقد وصف لنا سلوكها ودورها كزوجة بكل تفاصيلها وجزئياتها.

أما من الجانب الديني فهي مسيحية, وكانت متمسكة بدينها, وهذا ما تجلى لنا في الرواية بقولها عن طريق مناجاتها "يا مريم, يا أمّنا الممتلئة بالنعمة, يا سيدة النور في هذا العالم, مدّي لي نورك, لأقتبس منه, أنا الضائعة في هذا العالم الظالم, وسط حشود من التائهين أمثالي في ظلمات أنفسهم, أغيثيني يا عذراء, وأقري في قلبي أن ما أعيشه

---

[1] – نفسه، ص 88.

[2] – نفسه، ص 89.

[3]– محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري ، ص 89.

[4] – نفسه، ص 78.

[5] – نفسه، ص 24.

امتحان لتختبري محبتي لك, يا أمّ المساكين والضائعين, خذي بيدي الى الدرب الصحيح, وجهيني بهداك الذي لا يحيد من يهتدي به, ضعي في دربي أسباب الراحة, وباركيني يا سيدة المحبة والنور"[1].

يبرز لنا الكاتب محمد الأمين بن ربيع موقف أدريان من دينها فهي تناجي السيدة مريم التي كانت تعتبر نفسها شبيهتها, فهي تدعوها لترشدها للطريق الصحيح.

وفي موضع سردي آخر تقول "أنا كنت متعلقة بالله, أستحضره في كل لحظة"[2] وبذلك يبدو لنا تمسكها بدينها جليا تستحضره في كل مرة.

كما أنها تهدف من وراء زواجها بنائل إلى أن تطهر نفسها من كل ذنوبها التي اقترفتها سابقا وذلك من خلال قولها: "رغم كل الرهبنة التي تسكنني كراهبة كل همها الوصول إلى الرب مطهرة من الخطايا."[3] وقولها: "خذ بيدي إليك واجعلني خالصة من الخطايا"[4]. فهي تدعو الله أن يمحو كل ذنوبها وخطاياها.

كما أنها ذكرت مكانة الرقص بالنسبة إليها: "بالغناء والرقص طهرت روحي"[5] وتخلصت من ثقل وخطايا ويقايا الرجال الذين مروا على جسدها ونزواتها السابقة, وماضيها الأليم, ودموعها التي اكتوت بها ولم تجد من يمسحها.

ومن هنا يبرز لنا الكاتب موقف أدريان عن طريق الحوار الذي جرى بينها وبين نائل بقوله:

---

(1) – نفسه, ص73.

(2) – نفسه, ص92.

(3) – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري, ص96.

(4) – نفسه, ص90.

(5) – نفسه, ص130.

"– كنت قد خيرتك يوما بين أن تبقي أو تعودي أدراجك من حيث جئت, لكنك أخبرتني أنك تختارينني, تختارين الحب الذي تأجج في قلبينا, وعلى ذلك الأساس أقدمنا على ما أقدمنا عليه.....فما المانع من أن توثقي خطوتك بوثيقة؟

– قالت بعد أن اقتربت مني أكثر.

– نائل, لقد أقدمت على أشياء كثيرة في حياتي, أغلبها كنت أفعلها بضغوط خارجية, ولم أندم على شيء ولم أستمتع بأمر فعلته مثلما استمتعت بعلاقتي معك, لأنني فعلت ذلك بمحض إرادتي, بل وعن حب, لكن بدا لي اليوم أنني كنت مخطئة...لقد اكتشفت أنني امرأة مقيّدة لا أريد أن أخذلك أكثر.....أعتقد أنه يكفيني ما عشته معك لحد الآن".[1]

من خلال هذا المقطع الحواري ينسدل الستار على حقيقة هذه المرأة الفرنسية, بإبراز موقفها من خلال الجانب الديني, فرغم أنها وجدت ما كانت تصبو إليه عند نائل, إلا أنها تهوى الحرية ورفضت التوقيع على الوثيقة, فالحضارة والتمدن التي كانت تظن أنها تحملهما, في حقيقة الأمر ماهي إلا سراب وزيف.

3– شخصية نانّا الضاوية:

حظيت شخصية نانا الضاوية بمكانة هامة من طرف الكاتب محمد الأمين بن ربيع، ويتجلى ذلك في كونها تشغل حيزا كبيرا في كل حدث من أحداث الرواية رغم أنها شخصية ثانوية وهي مساعدة لشخصية البطل نائل بقوله: "والحقيقة أن كل ما يتعلق بنانّا الضاوية غير قابل إلا للتسليم دون نقاش، ومن ذا يناقش شخصا وهبه الحياة بعد أن كان على شفير الموت، لا أحد طبعا "[(2)].

[(1)] – نفسه, ص174.

[(2)] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري ، ص 19.

والحقيقة أن نانّا الضاوية تمثل الجانب الروحي والديني وهي ولية من الأولياء الصالحين الذين تواجدوا في مدينة بوسعادة آنذاك كما قلنا في الفصل الثاني ، تلك المكانة التي تحظى بها جعلت الكل يحسب لها ألف حساب, وهذا عن طريق السرد بقول نائل في حديثه عن الشيخ بلقندوز الذي كان يخافها إلى درجة تفادي ذكر اسمها رغم أنه شخصية متسلطة " كيف لا وهو الذي سلطت عليه ثعبانا ضخما لازم دكانه، لسبب بسيط وهو أنه أقدم على ضرب ابن أخيها الذي كان يشتغل عنده في ذلك الوقت"[1] وقوله " جثوت على ركبتي وحبوت ناحيتها، قبلت جبينها ولم أعتدل إلا عندما طلبت مني ذلك"[2]، فهي المرأة التي تفرض احترامها بقوتها وحكمتها ومساعدتها كما تعكس لنا أبعاد الهوية الوطنية الممثلة للجزائر.

أما بالنسبة لحياتها الأسرية فقد تزوجت ثلاث مرات ولكنها لم تنجح في ذلك إلا من خلال زواجها بالجني بقوله" هي الضاوية بنت المولود، تزوجت منذ كانت في العاشرة من عمرها بجني أفسد عليها زيجاتها الثلاث..." [3] وأنها لم تنجب من أزواجها الثلاث, وفي قوله عن طريق السرد أيضا حين تقول هي " بأن لديها سبعة أبناء من زوجها الجني، وهم الذين يشكلون الرباط الذي لا زال يربطها به..." [4]. فهي شخصية نامية ومتطورة.

4- شخصية سي سليمان بن إبراهيم بأعْمُر :

منح الروائي للشيخ سليمان بن إبراهيم مكانة اجتماعية متميزة، باعتباره إمام مسجد المرابطين في الموامين ببوسعادة، حيث كان له تأثير كبير على السكان وقد قدمه عن

---

[1] -نفسه، ص 23.

[2] – نفسه، ص 26.

[3] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري، ص 26.

[4] – نفسه، ص 26.

طريق أم نائل في منامها بقولها: " نائل يا بني، وقف عليّ في منامي رجل ادعى أن اسمه سليمان وقال لي بأن أعلمك أنه في انتظارك... أمام جامع المرابطين في الموامين"[1]،وقول نائل أيضا: " هو سليمان بن إبراهيم بأعْمُر، واحد من موقري المدينة والمعدودين فيها، ما كان ليستأثر بكل هذا الوقار والوجاهة لولا أمر فارق حدث معه يكاد يكون مشابها لما يحدث معي"[2]، ويعتبر أحد الشخصيات التي تتميز بوقار ووجاهة.

وقد كانت علاقته بالرسام الفرنسي إتيان ديني علاقة طيبة رغم أنه مسيحي، بقول الراوي عن طريق السرد: "خلّصه منهم وآواه إليه أكثر من أخ وأكثر من صديق مقرب، رغم أنه مسيحي... أنقذه من الضرب وفتح له أبواب بيته وأبواب المدينة على مصارعها، فجال معه في الأسواق والحواري ودخل معه إلى أكثر الأماكن حميمية وألفة "[3].

وهذا دليل على التعايش الحضاري والاجتماعي بين البوسعاديين وكل الأجانب الذين يقصدون مدينة بوسعادة فهم يتمتعون براحة وطمأنينة لأن هذه المدينة تحمل في طياتها الحرية، الأمن والأمان، والأخلاق العالية.

كما يشير إلى أن الشيخ " سي سليمان" كان له الفضل الكبير في اعتناق اتيان ديني الاسلام وذلك من خلال قول نائل عن طريق السرد: "كأنما هو أحد الأشراف المعدودين، ربما كان كذلك، فهو منذ صادق الصوار الرومي (إتيان) صار شخصا

---

[1] – نفسه، ص 34.

[2] – نفسه، ص 36.

[3] – نفسه، ص 37.

آخر، وبعد أن ساعده على دخول الاسلام منذ عام تقريبا صار قدره في المدينة لا يطال... فقد كسبوا من ورائه كنزا اسمه ناصر الدين ديني".[1]

5- شخصية الشيخ الطاهر بلحيدوسي:

رسم الروائي محمد الأمين بن ربيع للشيخ الطاهر بلحيدوسي بعدا اجتماعيا ودينيا يتماشى مع شخصيته باعتباره إمام مسجد أولاد احميدة بقول نائل: "مسجد أولاد احميدة، كان يعرف وفودا كثيرة للمصلين لسببين، أولهما أنه قريب من سوق المدينة، وثانيهما أن من يؤم مصليه هو بلحيدوسي، هذا الرجل معروف عنه منذ عهد بعيد أنه لا يرد لقاصد طلبا مادام حلالا".[2]

فهو يعتبر شخصية ثانوية مساعدة للبطل نائل, كان له دور بارز أثناء مجريات الأحداث رغم أن ظهوره كان قليل على صفحات الرواية، وذلك عن طريق السرد بقوله: "وقد منحني سي سليمان بن إبراهيم ضمانات عدة أنه الرجل الوحيد القادر على تقديم العون لي فيما يتعلق بمسألة أدريان، وأنه سيسهل علينا كل ما يتعلق بإعلانها الإسلام وعقد نكاحها".[3] فقد جسد دوره بما تحمله كلمة الإمام من معنى.

6- شخصية الأمير الهاشمي :

تعتبر شخصية الأمير الهاشمي شخصية تاريخية تندرج ضمن الشخصيات المرجعية التي جاء بها فيليب هامون، وهي تحيل إلى معنى محدد تحدده ثقافة ما وهذه الشخصيات يستوعبها القارئ من خلال ثقافته المكتسبة وقد تشمل شخصية تاريخية أو اجتماعية أو دينية.

---

[1] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري، ص 48.

[2] – نفسه، ص 137.

[3] – نفسه، ص 137.

وقد رسم محمد الأمين بن ربيع شخصية الأمير الهاشمي عن طريق السرد بإبراز مكانته في أوساط المجتمع البوسعادي على لسان نائل بن سالم من خلال استرجاع ماضيه بقوله: "عندها استوى عظيم البنية واقفا على أرض بوسعادة أشرق نور فياض في محيا كل المتحلقين حول الحلقة..." [1].

ويستمر الراوي في السرد بقوله: "فالغادون والرائحون والمريدون للأمير كانوا بالمئات .. وقد كان هذا الحال يدوم من بعد صلاة الفجر التي يحييها الأمير في مسجد الشرفاء، إلى غاية صلاة المغرب ولا يقطع حلقات الذكر والدروس التي يلقيها سوى أوقات الصلاة، أو وقت الغداء الذي يشاركه فيه الثلة...". [2]

يبدو أن محمد الأمين بن ربيع أراد من خلال هذه المقاطع السردية إبراز الدور الحضاري الذي أداه الأمير الهاشمي في مدينة بوسعادة من خلال الدروس والأعمال التنويرية التي كان يقدمها لسكان هذه المدينة، التي تعكس ثبات ثقافتهم من خلال وعيهم الحضاري والاجتماعي وهو بذلك نور ساطع لإنارة عقول البوسعاديين.

وعن طريق السرد أيضا يصف لنا الإحترام والوقار الذي كان يتمتع به بقوله: "وحين يدخل آخر فرد من الجماعة يغلق الباب، لا أذكر أن أحدا وصل متأخرا، وربما من كان يتأخر كان يصرف النظر عن الإلتحاق، لما للأمير من مكانة تجعل الكثيرين يخجلون من أن يقاطعوا كلامه إن بدأ، لا بالحديث ولا بالفعل، ولا بالغمزات، فهو كان يراهم بعين قلبه"[3] وقوله أيضا: " ... لهذا الرجل المبجل ..." [4] .

---

[1]–محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري، ص 151.

[2] – نفسه، ص 152.

[3] – محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، ص 153.

[4] – نفسه، ص 153.

يبدو أن الأمير الهاشمي كان يتمتع بمكانة هامة، حيث فرض وجوده من خلال ثقافته الدينية رغم أنه ضريرا فالعمى ليس عمى البصيرة لكن عمى القلوب "ولكن تعمى القلوب التي في الصدور".[1]

أما من ناحية ظروفه الاجتماعية فقد كان من الطبقة الغنية وهذا من خلال قول نائل: " أن يتشرف بحضور مائدة الأمير التي قيل عنها أنها لا تختلف عن تلك التي قد ينصبها ملك لحشايته"[2]، أما بالنسبة لعلاقاته فقد كانت طيبة مع الجميع، وهذه المؤهلات الاجتماعية والدينية منحته القدرة على التأثير في سكان مدينة بوسعادة .

7- شخصية الشريف نذير :

يعتبر من الشخصيات التي تنحدر جذورها من منطقة أولاد سيدي إبراهيم وهي نفسها جذور الكاتب محمد الأمين بن ربيع، وهو شخصية ثانوية في الرواية, وقد رسم شخصيته على لسان البطلين, وذلك من خلال قول أدريان: "هذا الرجل كان اسمه نذير، هو من أصحاب الجاه في مدينته، لابد أنه كذلك؛ فقلة هم العرب الذين يملكون سيارة بمحرك في هذا الوقت"[3] وعن طريق السرد أيضا يقول نائل: "كنت أعرفه، بل كل المدينة كانت تعرفه، هو الشريف نذير، هو صاحب فندق الصحراء، كبير عرشه وأحد أعيان المدينة، معرفتي به توطدت حين حكت لي أدريان عنه"[4] " أخبرني فيليب عندما وصلنا أن أهمه تضمن دعوة الرجل لنا للإقامة في الفندق الذي يملكه في بوسعادة".[5]

---

[1] – نفسه، ص 151.

[2] – نفسه، ص 153.

[3] – نفسه ، ص 119.

[4] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري ، ص 192 ، 193.

[5] – نفسه، ص 120.

تبدو شخصية الشريف نذير شخصية معروفة في مدينة بوسعادة فهو من أصحاب الجاه والثراء وكبار العرش، يملك فندق الصحراء الذي مازال موجودا في مدينة بوسعادة لحد الآن.

أما بالنسبة لثقافته فهو مشبع بالثقافتين العربية والفرنسية وذلك من خلال قول أدريان: "كما أنه كان يتكلم الفرنسية بطلاقة ودون تلعثم، كما كان يتحدث إلي دون خجل"[1] وقولها: " فقد كان منصتا ممتازا"[2].

وفي موضع سردي آخر تقول: " ولم لا يكون هو؟ ألا يستحق أن يعشق؟ على الأقل هو لم يبد لي اشتهاءه، فقد كان يغضي، حياء ربما كان يفعل"[3].

فهو شخصية تتصف بالجود والكرم والحياء وحسن الإصغاء, وقد قدم لنا الكاتب معالم بارزة للبعد الاجتماعي في شخصية نذير.

8- شخصية لالة الغُزال عويشة :

هي قيمة مسجد النخلة وهي جدة أم نائل، نذرت نفسها لخدمة المسجد وهي ذات حكمة منحتها لنانا الضاوية الولية الصالحة بقول نائل عن طريق السرد." بحكمتها التي أتاها إياها الله العلي, وورثتها عن السيدة الكبيرة الغزال عويشة بنت الجوهر.....".[4]

كما أنها لم تعرف الحنان الأبوي بقوله: " ربّيت يتيمة".[5]

وقد تزوجت من سي بلقاسم لتمتعها بجمال جذاب بقول الراوي: " ولأنها كانت جميلة فقد خطبها سي بلقاسم لنفسه".[1]

---

[1] – نفسه، ص 119.

[2] – نفسه، ص 122.

[3] – نفسه، ص 121، 122 .

[4] – نفسه, ص24.

[5] – محمد الأمين بن ربيع, قدس الله سري، ص 158.

وقد صور محمد الأمين بن ربيع شخصية لالة الغُزال عويشة باعتبارها تمثل الجانب الروحي والديني للجزائر، وصاحبة الكرامات، فكما تسبب جمالها في تعاستها، تسببت خيرات الجزائر وموقعها الجغرافي في جعلها محط أنظار المستعمر الغاشم.

9- شخصية لالة الفاسية :

وهي والدة زوجة الأمير الهاشمي تتميز ببشاشة كما أنها تتصف بالكرم من خلال قوله: " لتنعم علينا بما بقي على موائدهم ... فنفرح كثيرا وننطلق في الدعاء لها ولغيرها..."[2] فهي صاحبة نعمة وفضل بالإضافة إلى إبراز الحالة الاجتماعية التي كان يعيشها الشعب الجزائري أثناء فترة الاحتلال من فقر وجوع وجهل و ...

10- شخصية الراقصة يمينة :

هي راقصة دفعتها الظروف الاجتماعية لهذا العمل، تمتلك جاذبية خاصة بقول أدريان عن طريق الحوار "ابتسمت ابتسامة باهتة، لم أفهم معناها، إلى أن قالت بأنها لم تجد شيئا أفضل تقتات به بعد طلاقها وتنكر أهلها لها سوى الرقص الذي لا تجيد غيره"[3] فالرقص يعتبر وصلا روحانيا ووسيلة لسد لقمة العيش.

وخلاصة القول أن محمد الأمين بن ربيع رسم أبعاد شخصياته بدقة رائعة وذلك لكي تصل الى القارىء, وتترك فيه انطباع الواقعية, والانسان مظهر ومخبر, وهو جسم وعقل ووجدان فالجسم مظهره الخارجي, والعقل والوجدان باطنه الداخلي, ولكنه كل لا يتجزأ ولا يمكن فصل شخصيته إلى جزئين, ورسم الشخصية يشمل الاثنين معا ويربط بينهما ربطا محكما.

---

(1) – نفسه، ص 159.

(2) – نفسه، ص 152.

(3) – نفسه ، ص 132.

ولقد أبدع الكاتب محمد الأمين بن ربيع في رسم شخصياته فقدم صورة وصفية رائعة بمختلف الطرق الفنية, أبرز من خلالها أن الشخصية الروائية تعيش في وسط خيالي مرتبط بمجموعة شخصيات ضمن علاقات معينة, تلك التي تنتج عن الوظائف التي تقوم بها الشخصيات وهي أساس وجودها في الرواية.

الخـاتـمــة

الخـــاتمـــــــــــــــة:

بعد هذه الرحلة مع رواية " قدس الله سري" لمحمد الأمين بن ربيع توصلت إلى هذه الباقة من النتائج وهي كما يلي:

- ✓ أن محمد الأمين بن ربيع قدّم شخصياته بطريقتين: مباشرة وغير مباشرة:

- **مباشرة:** حيث عرض الكاتب وصف مادي ونفسي لشخصياته وموجزا عن حياتها.

- **غير مباشرة:** وهو الذي عبرت فيه عن نفسها دون تدخل الكاتب المباشر, وهذا ما وجدناه عند بطلي الرواية "نائل وأدريان" باستعمالهما ضمير المتكلم "أنا" إضافة إلى تقنيات حديثة مثل: الحوار والأحلام والمونولوج الداخلي.

- ✓ الكاتب رسم شخصيات رواية "قدس الله سري" حسب قناعاته وأفكاره ومبادئه التي يؤمن بها ليقنع القارئ بها, وقد أبدع بتوظيف كل التقنيات بشكل فني رائع, لتكون تلك الشخصيات نابضة بالحياة.
- ✓ الرواية تمزج بين السرد والحوار الديني والتاريخي الذي كان يطغى على الرواية, كما اتخذ الكاتب من بطلي الرواية ساردا يبث رسالة تحتوي على شخصيات أخرى في مستوى زماني آخر ومكاني.
- ✓ أغلب شخصيات الرواية حقيقية مستوحاة من بيئة الكاتب, وهذا ما عكس تأثره بمناخه الاجتماعي والثقافي.
- ✓ مزج الكاتب في روايته شخصيات متنوعة ومتعددة, حقيقية وخيالية, لمالها من أهمية بالغة في إثراء المتن الروائي, كما أنها تعكس ثقافة المبدع وموهبته.
- ✓ أغلب شخصيات الرواية مركبة متناقضة.
- ✓ عمل الروائي محمد الأمين بن ربيع على استحضار خيوط الماضي ودمجها بالحاضر.
- ✓ أن رواية " قدس الله سري" تشبه الفيلم السينمائي التاريخي.

- ✓ أن الرواية تسلط الضوء على مدينة " بوسعادة" لاسترجاع كرامتها التي سلبت منها.
- ✓ تناقش الرواية كثيرا من الظواهر الاجتماعية والحضارية كالفرق بين الشرق والغرب على جميع المستويات (الدين, التاريخ, العلم, الثقافة, الفكر).
- ✓ هذه الرواية تبرز الإختلاف الحضاري والوجودي بين البيئة العربية المقيدة بأغلال الحرمان والمنع والكبت والخلفيات المسبقة والعادات والتقاليد المحافظة, والبيئة الغربية التي تتسم بالتحرر والإنعتاق والعلم والإقبال على الحياة ولو في ثوبها المادي اللاأخلاقي.
- ✓ أن الكاتب اعتمد تقنية الاسترجاع وذلك لإعطائنا أكبر قدر من المعلومات.
- ✓ تعد رواية " قدس الله سري" ذات لغة شاعرية, موحية, مشوقة تصور العلاقة بين الشرق والغرب من خلال المرأة كرمز فني لتجسيد هذا التقابل بين الجزائر وفرنسا.
- ✓ أن الكاتب محمد الأمين بن ربيع أضفى صبغة الابتكار والإبداع الأدبي حتى يتقرب من القارئ.
- ✓ إبراز صورة المرأة الجزائرية التي تتصف بالعفة والطهارة مجسدة في صورة الأم وشخصية نانّا الضاوية والأولياء الصالحين من خلال تقارب الحضارات, فأدريان المجسدة لصورة فرنسا التي كانت دخيلا على مدينة بوسعادة لم تستطع تحقيق حلمها رغم أنها وجدت الدفء العاطفي والأمن والأمان, لأنها شخصية مهزومة من الداخل, بنيت على أسس هشة قوامها البحث عن الحرية.
- ✓ وكذلك شخصية المرأة اليهودية التي رسمها الكاتب هي صورة لليهود المبنية على الخيانة والغدر, انعدام الأخلاق والرذيلة والجنس, كما قدمها عاهرة من أجل المتعة وجمع المال وإسقاط الرجل الجزائري في وحل الرذيلة فهي شخصية سلبية.

- ✓ توظيف التراث عند محمد الأمين بن ربيع كرمز للتمسك بالعادات والتقاليد, وإبراز جوانب اجتماعية وثقافية, وجمالية, وفنية, وذلك من خلال رسم البعد الاجتماعي للشخصيات الجزائرية مما يفسح المجال للتعرف على ثقافة الجزائر.
- ✓ المكان أبرز مدافع عن الهوية وهذا ما لجأ إليه الكاتب محمد الأمين بن ربيع من خلال وصفه لمدينة "بوسعادة" بدقة وخاصة الجبال التي كانت السبب المباشر لكتابة هذه الرواية, فالقارئ لهذه الرواية أمام شريط تلفزيوني, أي أن "قدس الله سري" مرشد سياحي لمدينة بوسعادة, لأن الرواية ترتكز ارتكازا كليا على إبراز تاريخ مدينة بوسعادة.
- ✓ تتمتع رواية "قدس الله سري" بخاصية "التسجيلية" التي يوصف بها السرد, وهي إحدى الخصائص اللغوية ومن أهم ملامح اللغة التي استخدمها الكاتب فقد ذكر أماكن واقعية محضة, وهي أماكن يعرفها القارئ ويستطيع أن يزورها ويمشي فيها كما فعلت الشخصيات التي صنعها خيال الكاتب.
- ✓ تعد أسماء الشخصيات الحقيقية التي ذكرها الكاتب في روايته إحدى صور هذه اللغة التسجيلية, وبذلك استطاع أن يصل إلى القارئ من خلال هذه الشخصيات الحقيقية وكذلك الأماكن والأحداث.
- ✓ رواية" قدس الله سري" مكسب إضافي قيم للرواية العربية وبالذات الجزائرية، وهي نوع من إحياء الثقافة الشعبية.

وفي الأخير يمكن القول بأن رواية " قدس الله سري" عالم إبداعي يزخر بجوانب عدة تجعل الدارس أمام خيارات متعددة للدراسة.

أتمنى من خلال عملي المتواضع أن أنير طريق البحث وأمهده للباحثين من بعد.

قائمة المصادر و المراجع

القــرآن الكريـــــم ، بروايـــــة ورش

أولا- المصـــــــــــــادر:

1- محمد الأمين بن ربيع، قدس الله سري، دار الوطن اليوم، 2016 .

ثانيا- المــراجـــــــــــع:

2- إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الجزائر، بيروت، لبنان، ط$_1$ ، 2010 .

3- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دار الآفاق، الجزائر، ط$_1$، 1999 .

4- بشير بويجرة محمد، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري (1970 – 1986)، جماليات وإشكاليات الإبداع، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزء 2، طبعة 2001 .

5- بنور عائشة بنت المعمورة، قراءات سيكولوجية في روايات وقصص عربية (رؤى وانطباعات)، منشورات الحبر،ط$_2$، 2007.

6- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء – الزمن – الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط$_1$، 1990.

7- حسني بحراوي وآخرون, فنون النثر العربي الحديث(1), منشورات القدس المفتوحة, ط1, 1995.

8- حميد لحميداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1984.

9- خليل رزق، تحولات الحبكة، دط، مؤسسة الأشراف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دت.

10- رشيد بن يمينة، بواكير الرواية الجزائرية، دراسة تحليلية بنية السرد في خطاب" حكاية العشاق في الحب و الانسياق"، قسم التصنيف، دار تفتيلت، طباعة، نشر، اتصال، 2013.

11- سعيد بن كراد، سيميولوجية الشخصيات السردية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ط2، دت.

12- سيد محمد غنيم، سيكولوجية الشخصية، محدداتها، قياسها، نظرياتها. دار النهضة العربية ،القاهرة، (دط / د ت) .

13- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الدهشة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.

14- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، 1947 – 1985، دار القصبة.

15- شكري عبد الوهاب، النص المسرحي، دراسة تحليلية وتاريخية لفن الكتابة المسرحية، دط، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، 1999.

16- شكري عزيز الماضي، فنون النثر العربي الحديث، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، د ت.

17- صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005.

18- عبد القادر أبو شريفة وآخرون، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط3، 2000.

19- عبد الله خمار، فن الكتابة " تقنيات الوصف"، دار الكتاب العربي، الجزائر، نوفمبر 1998.

20- عبد الله حمادي, سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين" دراسة نقدي", اتحاد الكتاب الجزائريين, دار هومة, ط1, 2002.

21- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1830، 1974)، دار الكتاب العربي، ط1، 1983 .

22- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي ،معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق ، دوان المطبعات الجمعية ، الجزائر، ص 147.

23- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، دط، 1998.

24- عدنان علي محمد الشريف, الخطاب السردي في الوارية العربية, عالم الكتب الحديث, أربد, الأردن, ط1, 2015.

25- عزيزة مريدن، القصة والرواية، دط، دار الفكر، دمشق، 1980.

26- علال سنقوقة، المتخيل و السلطة (في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية)، منشورات الإختلاف، ط1، جوان 2000.

27- عمر بن قينة، الأدب العربي الحديث، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ص.ب 109، برج الكيفان، الجزائر.

28- عمرو حسن أحمد بدران، تحليل الشخصية، مكتبة الإيمان، المنصورة.

29- فريال كامل سماحة، رسم الشخصية في روايات حنا مينة، دراسة أدبية، الطبعة العربية الأولى، 1999.

30- فيليب هامون، سميولوجيا الشخصيات الروائية، ترجمة: سعيد بنكراد، تقديم عبد الفتاح كيلطو،.دار الكرم، الجزائر، (د ط)، 2012.

31- محمد أيوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، 1967،1993، ص 14.

32- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010، جامعة القدس المفتوحة، فنون النثر العربي الحديث (1)، ط1، 1995.

33- محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، دراسة من منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005.

34- محمد علي سلامة، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي، عند نجيب محفوظ، دار الوفاء، الاسكندرية، ط1، 2007.

35- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، (دط)، 1973 .

36- مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، دار فارس للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2004.

ثالثـــــا- المعاجـــــــم:

37- إبراهيم مصطفى و آخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، دط، دت.

38- ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري، جمال الدين أبو الفاضل، لسان العرب، مج6، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، مادة روى.

39- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1998.

40- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مجلد السابع، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، مادة (ش خ ص).

41- جبران مسعود، الرائد، معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، ط7، مارس 1992، بيروت، لبنان.

42- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979.

43- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، عرض و تقديم و ترجمة دار الكتاب اللبناني، ط1 ، 1985 – 1405 هـــ.

44- فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، دار محمد علي الحامي للنشر، صفاقس، تونس، (دط)، 1988.

رابعـــــــا- المجلات والدوريات:

45- أحمد شغث، بناء الشخصية في رواية " الحواف"، مجلة جامعة الخليل للبحوث، المجلد5 ، العدد 2.

46- بسام خلف سليمان، الحوار في رواية الإعصار والمئذنة لعماد الدين خليل- دراسة تحليلية- المجلد7، مجلة كلية العلوم الاسلامية، العدد13 ، 2013 م.

47- حسن شوندى *آزادا كريم* رؤية إلى العناصر الروائية, العدد العاشر, السنة الثالثة.

48- خوني وريدة، دور المدرسة في تنمية قيم الانتماء الوطني، عدد خاص، الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري، المركز الجامعي، تبسة.

49- لعلاء الأسواني, الشخصية المحورية في رواية عمارة يعقوبيان- دراسة تحليلية- نبهان حسون السعدون، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 13، العدد1، 2012.

خامســـــــا- الأطروحـــــــات:

50- زاوي أحمد، بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة وهران، كلية الآداب، اللغة والفنون، 2015/2014.

الملاحق

الملاحق

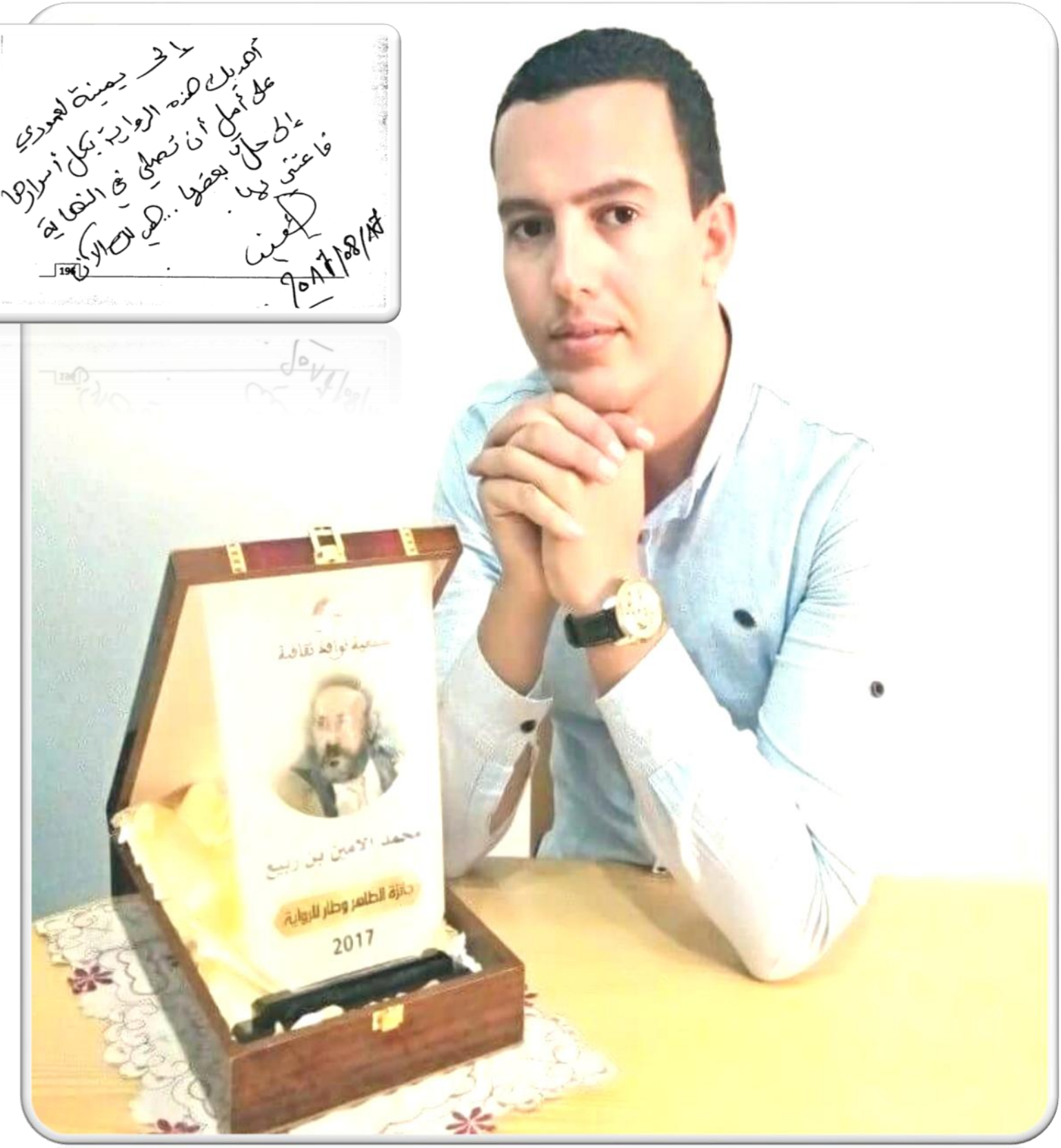
إلى يمينة لعمودي
أهديك صفحة الرواية بكل أسرارها
على أمل أن تصلي في القراءة
إلى حل بعضها ...صلاح الأوراق
فاعتني بها.
2017/08/27
جائزة الطاهر وطار للرواية
2017
محمد الأمين بن ربيع

البطاقة الشخصية للكاتب والروائي محمد الأمين بن ربيع:

محمد الأمين بن ربيع : القائل " أعيش لأكتب".

أحد الأقلام الروائية اللامعة إبداعيا، وموهبة روائية واعدة، من مواليد 15 مارس 1981 بمدينة بوسعادة الواقعة جنوب ولاية المسيلة، التي عاش طفولته الأولى بها حيث نشأت بينه وبينها علاقة زخم الخيال المشبعة به.

زاول تعليمه الابتدائي بابتدائية الإخوة طيبي بحي الهضبة ببوسعادة، لينتقل بعد نجاحه في شهادة التعليم الابتدائي إلى متوسطة ابن خلدون بالحي نفسه, الذي مكنه تفوقه فيها لمدة ثلاث سنوات من الانتقال إلى ثانوية أبي مزراق المقراني، طالبا في شعبة الأدب والعلوم الإنسانية، حيث تحصل على شهادة البكالوريا بجدارة ما أهله للالتحاق بالمدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة ليتخصص في اللغة العربية وآدابها، ويتخرج منها بعد خمس سنوات من التكوين بشهادة أستاذ في التعليم الثانوي، يزاول مهنة التعليم الثانوي منذ عام 2011 .

متحصل على شهادة الماجستير من جامعة باتنة في الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية عن رسالته الموسومة " تمظهرات العجائبي في رواية ألف وعام من الحنين" عام2015، كما أنه بصدد تحضير أطروحة دكتوراه بعنوان " **الصورة من الروائي إلى الفيلم السينمائي دراسة مقارنة في التجربة الجزائرية**".

كان محمد الأمين بن ربيع ميالا إلى الكتابة والتأليف منذ المرحلة الثانوية، حيث خاض تجربته الأولى في كتابة القصة القصيرة؛ تبعتها مجموعة من القصص البالغ عددها الثلاثين والتي نشر بعضها على صفحات الجرائد المهتمة بالشأن الثقافي وبالإبداع، وقد نمت موهبته أكثر حين التحق بالتعليم العالي، حيث ساهم في تحرير مجلة "**منتدى أستاذ الغد**" الصادرة عن المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة، وقد كان أول

نص قصصي نشره بعنوان " **موت الذات الثالثة**" على صفحات جريدة صوت الأحرار عام 2006، التي كان أحد منشئيها ومحرريها.

خاض تجربة الكتابة الروائية والتي عكست حبه وشغفه للكتابة وتحكمه في تقنيات السرد كما عكست إصراره على بلوغ غايته فأثرى رصيده الإبداعي بثلاث روايات.

- رواية عطر الدهشة: والتي نشرت عام 2012 عن دار سخري بوادي سوف.
- رواية بوح الوجع : والتي طبعت عام 2015 عن منشورات ENAG .
- رواية قدس الله سري : التي نشرت سنة 2016 عن دار الوطن اليوم.

وفي حديث محمد الأمين بن ربيع للمجلة الثقافية الجزائرية قال أن له مع كل رواية من الروايات الثلاثة حكاية، حكاية البداية وحكاية التفاصيل وحكاية الختام، فكل رواية لها مكانة خاصة عنده كونها مرتبطة بحدث جميل عاشه، أو ساهم في إنشائه.

واعترافا بجودة إنتاج محمد الأمين بن ربيع الروائي، ومكانته التي فرضها من خلال أسلوبه وبراعته وسط المشهد الإبداعي فقد حصد جوائز معتبرة في فن السرد.

1- جائزة مؤسسة فنون وثقافة في القصة القصيرة 2009 عن قصة " **ليلة الرؤيا**".
2- جائزة محمد العيد آل خليفة بوادي سوف في القصة القصيرة 2010 عن قصة "**يهمس البحر**" .
3- جائزة عبد الحميد بن هدوقة في القصة القصيرة 2010 عن قصة " **دوالي اغتيال هابيل**".
4- جائزة عبد الحميد بن باديس في السرد 2011 عن المجموعة القصصية " **دوالي اغتيال هابيل**".
5- جائزة الرابطة الولائية للفكر والإبداع بوادي سوف في الرواية القصيرة 2012 عن رواية " **عطر الدهشة**".

6- جائزة رئيس الجمهورية علي معاشي للمبدعين الشباب في الرواية 2012 عن رواية " **بوح الوجع**".

7- جائزة المهرجان الدولي للأدب وكتاب الشباب في الرواية 2014 عن قصة "**الهوى بطعم الأرابيسك**".

8- جائزة الطاهر وطار للرواية العربية 2017 في دورتها الأولى في الجزائر عن رواية " **قدس الله سري**".

فمزيدا من التألق والإبداع والرقي فأنت حقا " **أيقونة تستحق الإشادة والاهتمام**"

رواية قدس الله سري:

تندرج رواية "قدس الله سري" ضمن الرواية التاريخية, فقد ارتبطت الرواية الجزائرية بالتاريخ, ارتباطا وثيقا, كما أنها تنتمي إلى المدرسة الواقعية بالإضافة إلى وجود تأثير المدرسة الوجودية.

اختار محمد الأمين بن ربيع فضاء مدينة بوسعادة إطارا مكانيا للرواية كونها مدينة تستحق الاحتفاء, وكذلك محاولة لإعادة الكرامة التي سلبت منها ورد الاعتبار لعراقتها, كما أنها شكلت مدينة منفتحة على كل الأطياف الثقافية والعرقية في فترة من فترات تاريخها, فالمكان هو أبرز مدافع عن الهوية.

أما فيما يخص إطارها الزماني فالكاتب يحيلنا إلى بداية القرن20 وبالتحديد عام 1913م لإبراز جانب من جوانب ما هو مغيّب في التاريخ, وقد قلبت هذه الرواية المسار السردي, وركزت على الرحلة من الغرب إلى الشرق, وهذا ما يعرف بالسرد المضاد, فبدل أن يذهب الأنا (الجزائر) ممثلا إلى هناك إلى ما وراء البحر, صار الآخر (فرنسا) مولعا بهذه الثقافة الجزائرية الذي استهوته؛ لما تزخر به من مناظر خلابة وعادات وتقاليد وقيم ومبادئ.

تقع رواية قدس الله سري في 196 صفحة, وقد نوه الروائي محمد الأمين بن ربيع, أنه استمر في كتابتها أكثر من 4 سنوات وقد وزعت على 4 فصول: هي (أنا- أدريان- ردة – البرزخ), مزج فيها بين الحاضر والماضي, الواقع والمتخيل رغم أن الروائي اهتم بسرد وقائع حقيقية عموما أما فيما يخص ملخص الرواية فهي تناقش كثيرا من الظواهر الاجتماعية, والحضارية كالفرق بين الشرق والغرب على مستوى جميع المستويات.

تنطلق أحداث السرد من ولوج "أدريان موريالك" حياة نائل بن سالم وأسرته, هذه المرأة الفرنسية التي جاءت تحمل شعار الحضارة والتمدن...ولكنها في الحقيقة عكس ذلك, اقتحمت حياة الأنا الجزائرية بقوة, فهو شاب جزائري, كان يعيش حياة هامشية في كنف أسرته البسيطة المكونة من الأم والأب الأبكم والأختين التوأمين(البكماوتين) أيضا, حيث كان يعمل في محل لغطس الصوف عند صاحبه "الشيخ بلقندوز" المتسلط, فوباء الطاعون الذي أصاب مدينة بوسعادة أثر في عائلته حيث توفي أخويه وأصيب أبوه بعاهة البكم, وبقي هو على قيد الحياة بفضل الحكمة الإلاهية التي تتمتع بها "تانا الضاوية".

أما "أرديان موريالك" التي هربت من زوجها بحثا عن هوية جديدة, غير تلك الهوية الموجودة في فرنسا, أعجبتها حياتنا, واختارت أن تعيش مثلنا, تأكل وتشرب, وتلبس, وتتسمى باسم من أسمائنا, بعدما عاشت قساوة الحياة في المجتمع الذي نشأت وترعرعت فيه, حيث استغلت من طرف كل من مروا بحياتها, بدءا من أسرتها, زوجها, صاحب الحانة...وغيرهم فقد عانت اليتم, والتشرد, والضياع, وأصبحت أداة لإشباع الرغبات.

هذا ما جعلها تبحث عن الحرية والأمن والأمان, التي وجدتها عند "نائل" وأسرته, فقد كان يعيش في مدينة بوسعادة في لولاج على حافة الوادي في السفح الجبلي كردادة

الذي شهد استرجاع شريط ماضيهما, هذا البطل الذي يمثل لها ذلك العربي المسلم الذي طالما حلمت بالعيش معه.

فهذه العلاقة بين البطلين هي صورة لعلاقة الجزائري بالآخر الفرنسي, حيث اختار نائل الزواج من هذه الفرنسية "أدريان موريالك" التي أعجب بها وأعجبت به, لكن هناك عقبات كثيرة اعترضتهم تمثلت في موقف الأم الرافض لهذه الرومية بحكم العادات والتقاليد والتمسك بالدين الاسلامي الذي هو قوام الحياة.

كما أن ظروف "نائل" الاجتماعية كانت صعبة فهو يمثل كل الشباب أثناء التواجد الفرنسي أي الفقر, الجوع, الأمية....فحياة البؤس هذه تعكس لنا ظروف الجزائر آنذاك.

فالبطل "نائل" يحاول أن يحيا بالطريقة المفروضة عليه من قبل المجتمع, ولكنها قد تكون لا تتوافق مع حياته التي اختارها ورسمها وعاشها بمعنى الكلمة, رغم أنها لم تدم طويلا وذلك لأن الآخر مهما حاول التعايش معنا, إلا أنه يبقى دخيلا متأثرا بهويته, إضافة إلى أنه مر في حياته بتجربتين فاشلتين الأولى "زليخة اليهودية" التي كانت مصدر إغواء, بسبب سحرها الذي أدخله العالم الآخر(البرزخ) وكذلك وحدته بسبب " أدريان" التي ردت عن عقيدتها بعدما اعتنقت الإسلام, وجاءت إلى الجزائر, حبا في هذه المدينة, وفي هذه الحياة, وفي هذه الشمس التي تدل على الحرية, ولكن رغم أنها وجدت ما كانت تصبو إليه من أمن وأمان ورجل عربي يكون سندا لها, إلا أنها لم توقع الوثيقة وذلك دليل على أنها شخصية مغامرة, ومتناقضة تهوى الهروب والحرية المطلقة.

فكما أشرقت الشمس غابت وهذا ما ينطبق على تواجد فرنسا وانهزامها في الجزائر, فالرواية بدأت بولوج أدريان موريالك أسرة نائل وانتهت بمغادرتها لأنها دائما تجد الهروب حلا أمام كل ما يعترضها من عقبات.

وفي النهاية يمكن القول بأن هذه المحاولة من أجل التقارب بين نائل بن سالم وأدريان موریاك، تنتهي بالفراق؛ وذلك بسبب الهوة الثقافية والحضارية التي تفصل ما بين الشخصيتين.

الفهـــرس

الفهرس

الـــموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
إهـــــداء	
مقدمـــــــة	أ-ب .ج .د
الفصـــــــــــــل الأول: الشخصية والرواية	
أولا – الروايـــــــة	
1- تعريـــف الروايـــــــة	06
2- نشـــأة الروايـــــة الجزائرية	08
3- أنواع الرواية	09
ثانيا – الشخصية	12
1- مفهوم الشخصيـــة	13
2- أنـــــواع الشخصيـــــــات	14
3- أبعـــاد رسم الشخصيـــــــة	21
4- مكانة الشخصية في الرواية	24
5- طرق عرض الشخصيات	26
6- أساليب رسم الشخصية	28
الفصـــــل الثاني: رسم الشخصيات في رواية "قدس الله سري"	
أولا- قراءة في شخصيات روايـــة قدس الله سري	31
ثانيا- أساليب رسم الشخصيـــــة في رواية قدس الله سري	36
رســـم الشخصيـــات عن طريـــق الســـرد	37
رســـم الشخصيـــات عن طريـــــق الحـــوار	50
رســـم الشخصيـــات عن طريـــــــــق الحـــوار الداخلي	58
ثالثا- علاقة الشخصية بالمكونات السرديـــة الأخرى	63
الفصـــــل الثالث: أبعاد رسم الشخصيات في رواية "قدس الله سري"	
أولا- البعـــد الـــخـــــارجـــــــــي الـــــــجـــــمي	68
ثانيا- الـــــبعـــــد الـــنـــــــفـــــــسي	78

الفهرس

ثالثا– الـــبعـــــد الاجتماعـــــي	91
الخـــــاتـــــــمـــــة	112
قائمـــة المصادر والمراجـــع	116
الـــملحـــــــق	122
الفهرس	128

تم بحمد الله

ملخص الدراسة :

تناولت هذه الدراسة موضوع " رسم الشخصيات وأبعادها في رواية "قدس الله سري" للكاتب الروائي محمد الأمين بن ربيع، وذلك للكشف عن الأساليب المتعددة والتقنيات المتنوعة التي رسم من خلالها شخصياته الروائية، وقد أظهرت لنا براعته وتميزه في انتقاء شخوصه من مرجعية واقعية حقيقية، ووضعها في مكانها المناسب فقد أجاد في رسم شخصياته وتحليل أبعادها الجسمية والنفسية والاجتماعية وهذا ما أكد لنا أهمية تفعيل دورها في الرواية وتأثيرها على مجريات الأحداث .

الكلمات المفتاحية : رسم – أبعاد – شخصية – تقنية – الرواية

Résumé :

Cette étude a porté sur le thème "Représentation des personnages et leurs dimensions dans le roman" Kadasa Allah Seri " pour le romancier Mohammed Al-Amin Bin Rabea, afin de découvrir les différentes méthodes et techniques utilisées pour créer ses personnages. Par le biais de son travail créatif il a réussi à représenter ses personnages et à analyser leurs dimensions physiques, psychologiques et sociales. Ce qui nous a confirmé l'importance de ses rôles et leurs influence sur le déroulement des événements.

***Mots-clés**: Représentation - Dimensions - Personnalité - Technique - Roman*